كتاب البدء والتاريخ

للمطهر بن طاهر المقدسي

الجزء الاول

مكتبة الثقافة الدينية

المركز الرئيسي : ٥٢٦ شارع بورسعيد الظاهر

تليفون ٩٣٦٢٧٧ / ٩٢٢٦٢٠

كِتَابُ

ٱلبَدْء وٱلتَّأرِيخ

ٱلجُزْء ٱلأَوَّلُ

كِتَابُ ٱلْبَدْءِ وَٱلتَّأْرِيخِ

بسم الله الرحمن الرحيم   وبـه الحول والقـوّة

[F° 1 v°] تسلّقَ الزائغون عن المحجّة فى التلبيس على الضعفآء وتعلّق المنحرفون عن نهج الحقّ فى افساد عقيدة الاغبيآء من طريق مبادى الخلق ومبانيه وما اليه معادُه ومآله تعلقًا به ينتّهون غِرّة الغافل ويُحيرون فطنة العاقل وذلك من انكى مكايدهم للدين واثخن لبلوغهم فى انتقاض الموحّدين وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ[1] ويُعلى كلمته ويفلج حجّته وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ[1] وانّ من عظيم الآفة على عوامّ الأُمّة تصديقهم لمناظرة مَنْ ناظرهم بما تخيّل فى اوهامهم وانتصب فى نفوسهم من غير ارتياض بطرق العلم ولا معرفة باوضاع

[1] *Qor.*, sour. IX, v. 32.

القول ولا تحكّك بادب الجدل ولا بصيرة بحقائق الكلام ثم القآؤهم بايديهم عند اوّل صاكّة تصكّ أفهامهم وقارعة تقرع أسماعهم ضَرِعين خاشعين مُستَجدين مُستقلّين الى ما لاح لهم بلا اجالة رويّة ولا تتمير(؟) عن خبيئة وعلى اهل الطَرَف والشَرَف منهم التخصيص بالنادر الغريب والرغبة عن الظاهر المستفيض والإيجاب بغوامض الالفاظ الرائقة والكلم الرائعة وان كانت ناحلة المعانى نحيفة المغانى ضعيفة الضمائر واهية القواعد فقُصارَى تظرهم الاستخفاف بالشرائع والأديان التى هى وثاق الله تعالى فى سياسة خلقه وملاك امره ونظام الألفة بين عباده وقوام معاشهم والمنبّه على معادهم الرادع لهم عن التباغى والتظالم والمهيب بهم الى التعاطف والتواصل والباعث لهم على اعتقاد الذخائر من مشكور صنائع العاجل ومحمود ثواب الآجل فتعرّض الى ما هو منهىّ عنه فى حكمة العقل التعرض له من الاستهداف بقدح القادح واستدعآء مقت الماقت والسعى فى افساد ذات البين والاستشراف للفتنة وتلبيس الحق على الضَعَفَة واكثر ما يَعترى هذه البليّة طبقة اهل اللسان والبيان يظنون ظنونًا كاذبةً ويسمّون بهمم قاصرة

الى حيث يحجم همه البارز النقّاب عن التطلّع الى أدناه ويحقّ ما
ذكره العُتبي فى كتابه وان كان دخيلا فى صناعته متكلّفًا ما
ليس من بزّته حيث قال فى صفة هذه الطبقة قد رضى
من الله ومن عباده عوضًا ان يقال فلان دقيق وفلان لطيف
يذهب إلى انّ لطف النظر قد اخرجه عن جملة الناس وبلغ
به علم ما جهلوه فهو يدعوهم الرعاع والغُثاء والغُثْر وهو
لعمر اللّه بهذه الصفات أولى وهى به أليق فى اخوات لهذه
كثيرة ويا لها من فضيحة اذا اخذت الحجة بكظم احدهم
واسبل الحقّ جناحه عليه بقى مبهوتًا منقطعًا قد خانته معرفته
وكذّبته أمنيته وبدت عورته وظهرت حيرته وصار ضُحكةً
للناظرين ومثلًا سائرًا فى السامعين بعد أن كان يظنّ ضحكة
لفضل علم او بيان وكفى ذُلًّا وحُزنًا ودناءةً ونقصًا لراضٍ بهذه
المنزلة ومعترّ بتفريط السفلة مقبلا على لحمه وعظمه مضيّعًا
أيّام أَدَبه وعِلْمه ومن كانت هذه حاله فحقّ له النَكال
والتكبير فى العاجل مع ما يبوء به من ناهض الاثم وعظيم
الإصر فى الآجل ومن اعظم ذلك على ارباب القلانس
وأصحاب المجالس الذين طلبهم العلم لا لله ولا لأنفسهم ولكن

للتصدّر والتقدّم فهم يأخذونه من غير مظانّه ويترشحون له [r° 2 f°] بلاد واعية مقدّماته مستحلبين أفئدة العامّة بإطرآء مذاهبهم مُفسدين عليهم أذهانهم بما يقصّون من غرائب العجائب التى رووها مستأكلة القُصّاص عن أحدوثةٍ فى العقل مردودة واعجوبة عن الفهم محجوبة حتى شحنوا صدورهم بتُرّهات الأباطيل وضيّعوا نفوسهم بالأسمار والأساطير فَهُمْ الى كلّ ناعقٍ سِراع وعن كلّ ذى حقٍّ بطآء وللتّبع متعرضون وعن الواجب مُعرضون المحق فيهم مبطل والمُدقّ مُلحد والمخالف لهم مقهور والناظر مهجور والحديث لهم عن جملٍ طارَ اشهى اليهم من الحديث عن جمل سارَ ورؤيا مَرِيّة آثر عندهم من رواية مرويّة فهذه الخُطّة كانت سبب حرمان العلم وتهجين اهله وفوت الحظ واستحقاق الخِذلان والتوسيع للطاعن فى اللين وتسهيل القادحين بالصَّخَب والشَّغْب والشُّنعة وردّ العيان وجحد البرهان ويأبى العلم ان يضع كَنَفه او يخفض جناحه او يُسفر عن وجهٍ إلّا لمتجرّد له بكلّيته ومتوفّر عليه بأبنيته[1] مُعانٍ بالقريحة الثاقبة[2] والرويّة الصافية مذ

[1] Ms. بـأنيته.   [2] Ms. الباقبه.

بــه التأييد والتسديد قد شمّر ذيله واسهر ليله حليف النصب ضجيع التعب يــأخذ مــأخَذه متــدرّجًا ويتلقّــاه متطرّفًــا لا يظّلم العلم بالتعسّف والاقتحام ولايخبط فيــه خبط العشواء فى الظلام ومع هجران عادة الشرّ والنزوع عن نزاع الطبع ومجانبــة الإلف ونبذ المحاكلــة واللجاجة واجالــة الراعى عن غموض الحقّ والتّأتّى[1] بلطيف المأتى وتوفيقه النظر حقّه من التميز بين المشتبه والمتّضح والتفريق بين التمويــه والتحقيق والوقوف عند مبلــغ العقول فعنــد ذلــك إصابــةُ[2] المُراد ومصادفــةُ المرتاد وباللّــه التوفيق والرشاد ، ولمّا نظر فلان اطال الله فى طاعته بقّاه وبلغ من العلوم مُناه الى احوال هذه الطبقــة ومــا قــد يقسمهم من الهمم وتــوزّعهم من انواع النحــل وتصنّع مذاهبهم اشتاقت[3] نفسه الى تحصيل الأصحّ من مقالاتهم وتميز الأصوب من اشاداتهم فــأمرنى لازال أمرُه عاليًا وجدّه صاعدًا أنْ أجمع لــه كتابًا فى هذا الباب منحطًّا عن ذرجة العلو خارجًا عن حدّ التقصير مهذبًا من شوائب التزيّــد مُصَفًّى عن سِقاط النسالات[4]

[1] Ms. التــالى.

[2] Ms. أصابــه.

[3] Ms. واشتاقت.

[4] Ms. العسالات.

وخرافات العجائز وتزاوير القُصّاص وموضوعات المتّهمين من
المحدّثين رغبةً منه فى الحبر الذى طبعه الله تاليه واستعاظًا للحق
ومناضلةً[1] عن الدين واحتياطًا له وذبًّا عن بيضة الاسلام
وردًّا لكيد مُناويه وارغامًا لانف فاشحيه[2] وتحرّزًا عن أن
يُصيب الحَنَق الموتور يلدغ ناره او يجلد الطاعن مطعنًا
فتسارعتُ الى امتثال ما مثّل وارتسام ما رسم وتتبّعت صحاح
الأسانيد ومتضمّنات التصانيف وجمعتُ ما وجدتُ فى ذكر مبتداء
الخلق ومنتهاه ثم ما يتبعه من قصص الأنبياء عليهم السلم
وأخبار الأُمم والاجيال وتواريخ الملوك ذوى الاخطار من العرب
والعجم وما رُوى من امر الخلفاء من لدُن قيام الساعة الى
زماننا هذا وهو سنة ثلثمائة وخمس وخمسين من هجرة نبيّنا
محمد صلعم وما حُكى أنه واقع بعدُ من الكوائن والفتن
والعجائب بين يدى الساعة على نحو ما بُيّن وفُصّل فى الكتب
المتقدّمة [f° 2 v°] والاخبار المورّخة من الخلق والخلائق واديان
اصناف الأُمم ومعاملتهم ورسومهم وذكر العمران من الارض

[1] Ms. مناصلةً.

[2] Ms. فاشحيه.

وكيفية صفات الاقاليم والممالك ثم ما جري فى الاسلام من
المغازى والفتوح وغير ذلك ممّا يمرّ بك فى تفصيل الفصول
وانّما نبهنا على ما أردنا قول الحكماء اوّل العمل آخر التفكر
وذاك انّا لما جمعنا جمع ابتداء الخلق ثم لم نجد بُدًّا من تصحيح
الحِجاج فى ايجاب ابتدآئه ولم يصحّ لنا تثبيت[1] ذلك الّا
باثبات مُبديه سابقًا بخلقه ولا امكن اثباته الّا بعد بيان
طرق التوصّل اليه فابتدانا بذكر ذَرْو من حدود النظر والجدل
ثم ايجاب اثبات القديم المُبدئ المعيد ثمّ ابتداء الخلق ثمّ ما
يتلو ذلك فصلًا فصلًا وبابًا بابًا حتّى اتينا على آخر ما كان
الغرض والمقصود به ، ولم يزل اهل الفضل والتحصيل من
العلمآء والعظمآء والملوك فى قديم الزمان وحديثه يرغبون فى
تخليد ذكرهم ويتنافسون فى ابقآء رسمهم ويحرصون ان
يورثوا من بعدهم ما يؤثر عنهم من منقبة حميدة وحكمة بليغة
ترغّبًا فى اقتناء الفضل واعتقاد الذخائر توخّيًا منهم لعموم نفع
الخير وتحرّيا لشمول الصلاح والرشد وذلك ثمرة الانسانيّة
وغاية ما يؤمّله العقل وتطمح اليه النفس حتّى أن فيهم من

[1] Ms. شبت .

اقتحم الممالك آنِفًا لـذكر شجاعتـه ومنهم من خرق بمضنون النفائس ومنهم من تكلّف لطائف النوادر بالأثارة[1] والاستنباط ومنهم من رفع منارًا او بنى بناءً او انبط ماءً كلٌّ يجرى على قـدر الهمم والارادات لم يوجد واحد منهم خاليًا عن خصلـة من الخصال وان عميت الا بناءً دونها فهذا الـذى دعا فلانًا ادام الله تمكينه الى الاقتداء بهم والارتياح الى الاخذ بـأخذهم والتـأسى باسوتهم لما خصّه الله بـه من كريم الطبع وشرف الهمّـة وبُعد النور وبغية الصلاح وحُبّ الخير ثم بما يرجوه من حسن الثواب وكريم المآب بما عسى الله ان يبصّر بـه مستبصرًا او يُرشد مسترشدًا ويهدى ضالًّا ويردُّ غاويًا وقـد وَسَمتُ هذا الكتـاب بكتـاب البدء والتاريخ وهو مشتمـل على اثنين وعشرين فصلًا يجمع كلّ فصل ابوابًا واذكـارًا من جنس مـا يدلّ عليه ،

الفصل الاوّل فى تثبيت النظر وتهذيب الجدل ، وهو يجمع القول فى معنى العلم والجهل والقول على كمية العلوم ومراتبها واقسامها والقول فى العقل والمعقول والقول فى الحسّ والمحسوس

[1] Ms. بـالاـاره.

والقول فى درجات المعلومات والقول فى الحد والدليل والعلّة والمعارضة والقيـاس والنظر والاجتهاد والقول فى الفرق بين الدليل والعلّة والقول فى الحدود والقول فى الاضداد والقول فى حدث الاعراض والقول على أهل العنود[1] ومبطلى النظر والقـول فى مراتب النظر وحدوده والقـول فى علامـات الانقطـاع

[f° 3 r°] الفصل الثانى فى اثبات البـارى وتوحيد الصانـع، وهو يجمع الدلائل البرهانيّـة والحجج الاضطراريّـة والقول فى جواب من يقول ما هو ومن هو وكيف هو والقول بـأن البارى واحد وفرد لا غير والقول بابطال التشبيه،

الفصل الثالث فى صفات البارى واسمائـه؛ وهو يجمع القول فى الصفات والقول فى الأسامى وما يجوز أن يُوصَف بـه وما لا يجوز واختلاف الناس فيه،

الفصل الرابع فى تثبيت الرسالـة وايجاب النبوّة، وهو يجمع اختلاف الناس فيه وايجابـه بحجّة العقل والقول فى كيفيّـة الوحى والرسالـة على ما جاء فى الأخبار،

[1] Ms. المعهود.

الفصل الخامس فى ذكر ابتدآء الخلق، وهو يجمع ايجاب حدث الخلق وايجاب ابتدائه بالدلائل والحجج وقول القدماء فى ايجاب الخلق وابتدآئه وذكر حكايات أهل الاسلام عنهم وذكر مقالات الثنوية والحرّانية والمجوس وذكر مقالات اهل الكتاب فيه وذكر قول اهل الاسلام فى المبادى وذكر ترجيح أصوب المذاهب وذكر ما خُلق فى العالم العُلوىّ من الروحانيّات وأوّل ما خُلق فى العالم السُفلى من الجسمانيّات وسؤال السائل ممّ خُلق الخَلْق وفيمَ خُلق وكيف خُلق ومتى خُلق ولِمَ خُلق،

الفصل السادس فى ذكر اللوح والقلم والعرش والكرسىّ وحملة العرش والملائكة وصفاتها واختلاف الناس فيها والقول فى الملائكة أمكلّفون هُمْ أمْ مجبورون وانهم افضل من صالح وذكر ما جآء فى الحجب وما جآء فى سدرة المنتهى وذكر الجنّة والنار وذكر صفة النار وذكر اختلاف الناس فى الجنة والنار وذكر صفة اهل النار وذكر اختلاف الناس فى بقآء الجنّة [والنار] وفنائهما وذكر اختلاف الناس فى هذا الفصل وذكر الصراط والميزان والحوض والصور

[3 v° '] والاعراف وغيرها ،

القصل السابع فى خلق السمآء والأرض ، وهو يجمع صفة السموات وصفة الفلك وصفة ما فوق الفلك وصفة ما فى الأفلاك والسموات كما جاء فى الخبر وصفة الكواكب والنجوم وصفة صورة الشمس والقمر والنجوم وما بينهما واختلاف الناس فى اجرامها واشكالها وذكر طلوع الشمس والقمر وغروبهما وكسوفهما وانقضاض الكواكب وغير ذلك مما يعرض فى السمآء وذكر الرياح والسحاب والأنداء والرعد والبرق وغير ذلك مما يحدث فى الجوّ وذكر مقالة الشمس والقمر والكواكب والشهبان وقروس قزح والزوبعة والزلازل وذكر الليل والنهار وذكر الارض وما فيها واختلافهم فى البحار والمياه والانهار والمدّ والجزر والجبال واختلافهم فيما تحت الارض وذكر قوله تعالى ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ والأرض وما بينهما فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ[1] وذكر ما حكى فى المّدة قبل خلق الخلق وذكر مّدة الدنيا [قبل آدم عليه] السلام وذكر خلق الجنّ والشياطين وذكر ما وصفوا من عدد العوالم ،

[1] *Qor., passim*

الفصل الثامن فى ظهور آدم وانتشار ولده، وهو يجمع اختلاف الفلاسفة فى تأليف الحيوانات واختلاف المنجّمين وسائر الناس فى ذلك وذكر خلق آدم وذكر اختلاف أين خُلق آدم وذكر قولهم كيف نفخ الروح فى آدم وذكر سجود الملائكة لآدم وذكر قوله عزّ وجلّ وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَآءَ[1] وذكر دخول آدم الجنّة وخروجه منها وذكر أخذ الذرّية من ظهر آدم وذكر اختلاف الناس فى آدم وقصّته وذكر صورة آدم وخبر وفاته وذكر الروح والنفس والحياة واختلاف الناس فيها وفى الحواسّ من القدمآء وأهل الكتاب وما جاء فى القرآن من ذكرها وفى الاخبار ومناظرات الناس فيها،

الفصل التاسع فى ذكر الفتن والكوائن الى قيام الساعة وما ذُكر من امر الآخرة، وهو يجمع القول بوجوب فنآء العالم وانتهآئه وذكر قول مَنْ قال من القدمآء بفنآء العالم وذكر قول اهل الكتاب فى هذا الباب وذكر ما جآء فى مُدّة الدنيا وكم مضى منها وكم بقى منها وذكر التأريخ من لدن آدم الى يومنا هذا على ما وجدناه فى كتب اهل الاخبار وذكر ما بقى

[1] *Qor.*, sour. II, v. 29.

من العالم وكم مـدّة [أمّـة] محمّـد صلعم [فيـ]ما رواه أهل الأخبـار وذكر ما جآء فى أشراط الساعـة وعلاماتهـا وذكر الفتن [f° 4 r°] والكوائن الى آخر الزمان وخروج التُرك والهـدّة فى رمضان والهاشمى الذى يخرج من خراسان مع الرايات السود وخروج السُفيانىّ وخروج القحطانى وخروج المهدى وفتح قسطنطينيّة وخروج الـدجّال ونـزول عيسى بن مريم عليـه السلم وطلوع الشمس من مغربهـا وخروج دابّـة الأرض وذكـر الـدخان وخروج يـاجوج ومـاجوج وخروج الحبشة وذكـر فـقـدان الكعبة وذكـر الريح التى تقبض أرواح أهل الايمان وذكـر ارتفاع القرآن وذكـر النار التى تخرج من قعر عدن تسوق النـاس الى المحشر وذكـر نفخـات الصور الثلاث وذكـر صفـة الصور واختلاف اهل الكتـاب فى صفـة مَلَك الموت وذكـر مـا بين النفختين وذكـر اختلافهم فى قولـه تعالى إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ[1] وذكـر المطرة التى تُنبت أجساد الموتى وذكر الحشر وذكـر اختلاف النـاس فى كيفيّـة الحشر وذكـر الموقف وذكر تبديـل الأرض وذكر طىّ السمآء وذكـر يوم

[1] *Qor.*, sour. VI, v. 128.

القيامة وذكر ما قيل ممّا هو كائن بعد ذلك وذكر ما حُكى عن القدمآء فى خرابِ العالم وذِكر مـا يجب على المرء اعتقاده فى هذا الباب

الفصل العاشر فى ذكر الانبيـآء والرسل عليهم السلم ومـدّة اعمارهم وقصص أممهم واخبارهم على نهاية الإيجاز والاختصار ،

الفصل الحادى عشر فى ذكر ملوك العجم ومـا كان من مشهور ايّامهم الى مبعث نبيّنا محمّد صلعم ،

الفصل الثانى عشر فى ذكـر أديان اهل الارض ونحلهـم ومذاهبهم وارآئهم من اهل الكتاب وغيرهم وهو يجمع ذكر المُعطّلـة وذكر أصناف الهند وشرائعهـم وملّلهم واهوائهم وذكر أهل الصين وذكر مـا حكى من شرائـع الترك وذكـر شرائع الحرانيّين وذكـر اديان الثنويّـة وذكـر عبدة الاوثان وذكر مذاهب المجوس وذكر مذاهب الخرّميّـة وذكـر شرائع اهل الجاهليّة وذكر شرائـع اليهود والنصارى ،

الفصل الثالث عشر فى ذكر أقسام الارض ومبلغ أقـاليمها ، وهو يجمـع ذكر الأقـاليم السبعـة وذكر المعروف من البحـار

[1] Le ms. intercale ici البـار (?)

والأوديـة والأنهـار وذكر الممالـك المعروفـة من الهنـد وتبت ويأجوج ومأجوج والترك والروم وبربر والحبشة [٣٤ ٣°] وذكر بـلاد الإسلام من الحجـاز والشام واليمن والمغرب والعراق والجزيـرة والسواد وآذربيجـان .وارمينيـة والاهواز وفـارس وكرمان وسجستـان ومكران والجبل وخراسان ومـا وراء النهر وذكر المساجد والبقاع الفاضلـة مثل مكّة والعراق وذكر الثغور والرباطات وذكر مـا حكى من عجائب الارض وعجائب اصناف الناس وذكر مـا بلغنـا من المدن والقرى ومن بناها وأنشاها وذكر ما جآء فى خراب البُلدان ،

الفصل الرابع عشر فى أنساب العرب وأيّامها المشهورة ،

الفصل الخامس عشر فى مولـد النبيّ ومنشاه ومبعثـه الى هجرتـه صلعم ،

الفصل السادس عشر فى ذكر مقـدم رسول اللّـه صلعم الى المدينة وعدد سراياه وغزواتـه الى يوم وفـاتـه ،

الفصل السابع عشر فى صفة خَلق رسول الله صلعم وخُلقه وسيرتـه وخصائصه وشرائعه ومدّة عمره وذكر أزواجه وأولاده وقراباتـه وخبر وفـاتـه وذكر معجزاتـه ،

الفصل الثامن عشر فى ذكر أفاضل الصحابة وأولى الأمر منهم، من المهاجرين والأنصار وذكر حُلاهم ومدّة أعمارهم وابتداء إسلامهم وذكر أولادهم ومن أعقب منهم ومن لم يُعقِبْ،

الفصل التاسع عشر فى اختلاف مقالات اهل الإسلام، وهو يجمع ذكر فرق الشيعة وفرق الخوارج وفرق المشبّهة وفرق المعتزلة وفرق المرجيّة وفرق الصوفيّة وفرق أصحاب الحديث رضهم،

الفصل العشرون فى مدّة خلافة الصحابة وما جرى فيها من الفتوح والحوادث الى زمن بنى أُميّة وهو يجمع خلافة ابى بكر رضه وما كان فى أيّامه من الردّة والتنبّى والفتوح وخلافة عمر رضه وما كان فى ايّامه من الفتوح وخلافة عثمان وما كان فى ايّامه من الفتوح والفتن وخلافة على بن أبى طالب رضه وما كان فى أيّامه من الفتن وذكر الجمل وصِفّين والنهروان [f° 5 r°] وخروج الخوارج عليه وذكر الحَكَمين وخلافة الحسن بن على رضهما إلى أنْ غلب معاوية على الأمر،

الفصل الحادى والعشرون فى ذكر ولاية بنى أُميّة على الإيجاز والاختصار وما كان منها من الفتن من فتن ابن الزبير

المختار بن ابى عُبيد وهو يجمع قصّة زياد وموت المغيرة وعمرو بن العاص ووفات الحسن بن على رضهما وأخذ معاوية البيعة بزيد وولاية يزيد بن معاوية عليهما اللعنة ومقتل الحسين بن على رضهما وقصّة عبد الله بن الزبير وذكر وقعة الحرّة موت يزيد بن معاوية وولاية معاوية بن يزيد وذكر فتنة ابن الزبير الى ان قتله الحجّاج فى ولاية عبد الملك بن مروان الى آخر أيامهم ،

الفصل الثانى والعشرون فى عدد خلفآء بنى العبّاس من سنة اثنتين وثلثين ومائة الى سنة خمسين وثلثمائة ،

فالناظر فى هذا الكتاب كالمشرف المطّلع على العالم مشاهدًا حركاته وعجيب أفعاله والسابق له قبل تركيبه وحدوثه الباقى بعد انجلائه ودثوره وفيه لطرق العلم توطئة ولأهل الدين قوّة وللمبتدى رياضة وللمستأنس به سلوة وللمتفكّر فيه تبصرة وعبرة وهو الى مكارم الاخلاق داعٍ وعن الدناءة ناهٍ والله نسأل أن ينفعنا ومن نظر فيه بما ضُمّن وأُودِع وان ينبّهنا عن سِنَة الغفلة ويوفّقنا توفيقًا بحسن الإصابة إنّه سميعٌ قريبٌ[1] *

[1] *Qor.*, s. XI, v. 64.

ألفصلُ الأوّلُ

"في تشبيت النظر وتهذيب الجدل"

أقول وبالله التوفيق ومَن عندَهُ العصمة والتسديد ان معرفة هذا الفصل من أعوان الأسباب على درك الحقّ والتمييز بينه وبين ما يضادّه لاغناء بأحدٍ عن مطالعته والإشراف عليه ليعرف الصدق من نفسه ومن غيره إذْ قد يعترض من الفكر والتخايل والأوهام الفاسدة والخطرات الردئة ما يلتبس معها الحقّ ويتغلّب عندها الظنّ والشكّ وليس ما يميّز بينها ويدلّ على صحّة الصحيح وبُطلان الباطل منها إلّا النظر وبه يعترف السؤال الساقط من السؤال اللازم والجواب الجائز من الجواب العادل فلنذكر الآن منه لمًا لهام ما نحن قاصدوه يكون عُدّة للناظر وقوّة للمناظر ثمّ من بعد يستقصيه ان [شاء] اللّه في

كتاب انتسناه على هذا النوع وسمّيناه كتاب العلم والتعليم ومن عند اللّـه العصمة والتوفيق ،، أقول أنّ العلمَ اعتقادُ الشئ على ما هو بـه إن كان محسوساً فبالحسّ وإن كان معقولًا فبالعقل والحسّ والعقل أصل مـا تردّ اليه العلوم كلّها فماقَضَيا باثباتـه ثبت ومـا قضيا بنَفْيه انتفى هذا إذا كانا سليمَيْن من الآفـات بريّـيْنِ من العاهات وعوارض النقص غسيلين من عشق عـادة الالف والنشو [f° 5 v°] لا يـكاد يقـع حينيذٍ فى محسوسه ومعقولـه اختلاف إلّا من مخالف او من معاند لأنّهما على ضرورة لا يعترض للحاسّ شكٌّ فى هيئة المحسوس وصورته ولا يقدر المضطرّ ببديهة عقلـه أن لا يعلم مـا يعلمه ويتيقّنـه ولا يُصدَّق مَنْ يـدّعى خلافـه ولو كان مضطرّ الى دعواه كما اضطرّ فى حواسّه لما ظهر من أحد خلافٌ ولا احتيج الى كسر قولـه والكشف عن عُوار كلامه ألا ترى أنّـه يستحيـل ان تجد الحاسّة النـار باردة والثلج حارًّا فى الظاهر كما يستحيل ان يكـون المعلوم متحرّكًا ويعلم ساكـنـا او يكـون فى نفسه أبيض ويقـع العلم بـأنّـه أسود ولو جاز هذا لبطلت العلوم كلّها رأساً وفسدت الاعتقادات فساغ لكلّ قـائل ما أراد من

ادّعاء السمع البصر والبصر السمع والحيّ ميتاً والميّت حيّاً وهذا محال لأنّ العلم اذا كانَ ادراكَ الشئْ على مـا هو به من حدٍّ وحقّه ثم لم يُدركْ ذاتـه كما هو لم يكن معلوماً وكذلـك الحسّ إذا لم يدركْ طبعه طبع ما يقع تحته لم يكن محسوساً وهذا لا خلاف فيه بين المتميّزين العاقلين قـاطبةً إلّا رجلَيْن اثنَيْن أحدهما العامى الـذى لا نظر لـه لاغفالـه آخذًا لـه استعماله ومتى لاح له الحقّ اتبعه وانقطع خلافـه لان قولـه ذاكَ عن حَدْس وظنّ وسماع وتقليد فـإذا قرع سمعه مـا يشهد بتصديقه قلبه مـال اليـه وقبله والثانى الجاحد المعانـد الـذى يسمّيـه القدمـآة السوفسطانى وسنذكر فساد مذهبهم فى موضعه ان شاء الـلّـه تعالى ، وضدّ العلم الجهل ومعناه اعتقاد الشئْ على خلاف ما هو به وليس كلّ من لا يعلم جاهلًا بالاطلاق ولكنّ الجـاهل فى الحقيقـة التـاركَ طلب حدّ الشئْ وحقّه المعتقـد لـه على غير مـا هو بـه ولـولا ذاكَ لما استحقّ الـلائمـة والمذمّـة على جهلـه ،،

القول فى كمّيّة العلوم ومراتبها ، أقول أنّ اسم العلم قد يُطلق فى الجملة على الفهم والوهم والذهن والفطنة واليقين والخطرة

والمعرفة وكلّ ما يحصل منه ادراك شئ ظاهرًا أو باطنًا ببديهة عقل أو مباشرة حاسّة أو استعمال آلة كالاستدلال والفكرة والبحث والتمييز والقياس والاجتهاد لأنّ هذه الخصال كلّها آلات ادراك العلم وطُرُق التوصّل اليه وممّا يصاب من هذه الجهة فروع بالإضافة إلى علم البدايه والحواسّ [أ]لا ترى انّ الإنسان العاقل المميّز مضطرّ الى شواهد عقله وحسّه غير مضطرّ الى استدلاله وبحثه أو لاترى أنّ لاسبيل الى البحث والاستدلال لمن عرى من عقله أو أُصيب بحسّه فاوّل العلم الخطرة الصادقة وهو كالبديهة مثلًا بَلْ بقّوة البديهة وآخره اليقين وهو استقرار الحقّ وانتفاء الشكّ والشبهة عنه وإنّما اشترطنا فى الخطرة الصدق لانّه قد يخطر النفس والهوى والطّبْع والعادة بما لا حقيقة له فلا يجوز أن يُعدّ من آخر العلم اليقين الذى يُحيط بالاشياء على وجهها ويدركها بكنهها والمعرفة ادراك أينية[1] الشئ وذاته فمن قائل انّها ضرورة وآخرأنّها [M 6 b] مكتسبة والفرق بينها وبين العلم ان العلم الإحاطة بذات الشئ عينه وحدّه والمعرفة ادراك ذاته.

[1] Ms. أبنية.

وثباتـه وان لم يدرك حدّه وحقيقته فـالعلم اعمّ وابلـغ لأنّ كلّ معلوم معروف وليس كلّ معروف معلومًـا ألا تـرى أنّ الموحّدين يعرفون ربّهم ولا يعلمونـه إلّا بالاثبات لأنّ الكيفيّـة والكميّـة عنه منفيتان، والوَهْم اعتقـاد صورة شئ محسوس او مظنـون وان كان منفيًا وجودُه فى الظـاهر لأنّ قوّة الوهم فى انبساطها تضعُف فلذلـك [ترى] ما لا تراه العيون وكذلـك العين اذا اُمتدّت قوّة بصرها وبعدت مسافـة المرئىّ عنها رَأته على خلاف ما هو بـه من الصغَر والعِظم والصورة واللون وغير ذلك من الهيآت ومـا خلا عن الهيآت والصفات والحدود كلّها فلا يمسّها الوهم ولا يتصوّر فى النفس والفهم هو المعرفـة وقوّة الـذهن قريبة من قوّة العقل غير أنّ الـذهن والفهم تطبّع والفطنة قريبـة المعنى من الـذهن وانّما احتجنـا الى هذا لأنّ كثيرًا من النـاس يولعون بالبحث عن هذه الأسامى ويستفرقون بينها وامـا الأسباب التى يتوصّل بها الى مـا خفى من العلم فـالفكرة وهى البحث عن علّـة الشئ وحدّه الرأى والرويّـة والاستنباط انتزاع ما فى طىّ المعقول والمحسوس والاستـدلال والاجتهاد وقد عدّ قومٌ ميل العادة والطبع الّا ما يميـلان اليه

او ينفران منه علماً فهذه جملة أُصول العلم وطُرقها ومحصولها راجع الى ثلاثة أصناف الى المعقول بديهةً والمحسوس ضرورةً لأنّ ما يدرك بهما يدرك بلا واسطة ومقدّمات والثالث المستدلّ عليه المستنبط بالبحث والامارة فهذه يقع فيها الاختلاف والاضطراب لخروجه عن حيّز الحاسّة والبديهة وتفاوت قُوى المستدلّين والناظرين وتفاوت أرآئهم وعقولهم وهذا يكثر حدّاً وفيه صُنّفت الكتب ودُوّنت الدواوين من على الحكمة والملّة مُذْ قامت الدنيا على ساقها ولا يزال كذلك الى انقضآء الدهور وتخرُّم الأيّام وكثير من الناس أبَوْا أن يسمّوا علم البديهة والحسّ علماً على الحقيقة لاشتراك الناس كلّهم فيه واستواء درجاتهم فى ذلك ثم هو غير مستفاد ولا مكتسب بَلْ أوجبه الطبع العزيزة وقوّة التمييز والخالقة ،

القول فى العقل والمعقول ، أقول أنّ العقل قوّة إلهيّة مميّزة بين الحقّ والباطل والحسن والقبيح وأمّ العلوم وباعث الخطرات الفاضلة وقابل اليقين وقد قيل إنّما سمّى عقلًا لأنّه عقال للمرء عن التخطّى إلى ما خُطر عليه وقد أكثرت الفلاسفة الاختلاف فى ذكره ووصفه قال ارسطاطاليس فى كتاب

البرهان أن العقل هو القوة التى بها يقدر الإنسان على الفكرة والتمييز وبها يلتقط المقدّمات من الاشياء الجزوئية يؤلّف منها القياسات وقال فى كتاب الأخلاق أن العقل هو ما يحصل فى الإنسان بطريق الاعتياد من انواع الفضائل حتّى يصير له ذلك خُلقًا وملكة متمكنة فى الناس وقال فى كتاب النفس بخلاف هذا وقسّمه الى ثلاثة أقسام الى العقل الهيولانىّ والعقل الفعّال والعقل المستفاد وفسّره لاسكندر[1] فقال انّ العقل الهيولانىّ هو ما يوجد فى شخص الإنسان من امكان التهيّؤ لتأثير العقل الفعّال وانّ العقل المستفاد [f° 6 v°] هو المصوّر والعقل الهيولانىّ بمنزلة العنصر وانّ العقل الفعّال هو المخرج للعقل المستفاد على الوجوه بالفعل وزعم بعضهم أنّ العقل هو النفس وبعضهم يقول هو البارئ جلّ جلاله مع تخايط كثير منهم فى هذا الباب وممّا توارثناه عن الأسلاف قولهم العقل مولود والأدب مستفاد وإنّما سمّاه بعضهم باسم افعاله فلا يضايقه بعد ان أتى المعنى المطلوب منه ألاترى انه يقال اكتب المتّصنين أخبار الأوائل والأشعار أنها عقولهم والمعنى نتائج

[1] Ms. الاسكندر.

عقولهم وأذهانهم وقيل ظنّ الرجل قطعة من عقله فكلّ هذا
على التمثيل والاستعارة ولا يختلف قول القدمآء فى ان العقل
الهيولانىّ اصفى جوهر النفس وحسّه فوق حسّ النفس ورتبتُه
على رُتَب الجواهر ودُون رتبة البارئ جلّ جلاله وهو أقرب
الأشياء منه المسلمون لا يعلمون من العقل إلّا ما هو مركّب
فى الإنسان خاصّةً دون سائر الحيوان فى العالم السُفلىّ فأمّا ما
يحكى عن غيرهم فموقوف على الجواز ما لم يردّه العقل او كتاب
الشريعة وقد ذهب قومٌ أن حجّة الطبع فيما يوجبه ويسلبه أولى
من حجّة العقل وادّعوا ذلك من جهة اشتياق الى ما وافقه
ويلائمه وانقباضه عمّا يعافه وينافره وانّ الله عزّ وجلّ خلقه
اذ خلقه كذلك ولا يجوز ان يخلق شيًا عبثًا او لغير حكمة
وفائدة والعقل مستحسن وهو يستحسن الشئ ثُمّ يستقبحه
ويستصوبه ثُمّ يستخطئه والطبع لا يستحلى مُرًّا ولا يستمرّ حلوًا
ولا يجد الشئ عن خلاف ما هو به فأجابهم مخالفوهم أن الطباع
لا تعرف إلّا ما يحسّ وتُباشر وقد تغيّرها العادات والعوارض
عن أصل جبلّتها فتميل فى بعض الأوقات الى ما كانت تنفر
عنه وينفر عمّا كانت تميل إليه وليس من قوّتها التمييز بين

الحسن والقبيح بالاستدلال كما فى قوّة العقل وقد صحّت طبائع البهائم وسلمت أخلاطها ثمّ لم يحسن خطابها وامتناع الطبع عن استحسان الحسن واستقباح القبيح غير مخلى له من الحكمة ولا موجب العبث فى خلقه كما أنّ الموات لا تحسّ بشئ من الأعراض ثمّ لم يخلُ من الحكمة بَلْ دلالته وما تحويه من المنافع والمضارّ الذى خصّ به جنسه فائدته وحكمته فدلّنا ان موجب العقل هو المعوّل عليه فى الاعتبار والاستدلال لإسقاط التكليف ووضع الامتحان على البهائم التى سلمت طباعها وأخلاطها فان قيل بِمَ عرفتم العقل قيل بنفس العقل لأنّه الأصل والبديهة وأمّا علوم الاستدلال كما عرفنا الحسّ نفس الحسّ لأنّه الطبع ولو كُنّا عرفنا العقل بعقل لأفضى الأمر إلى ما لا نهاية له ولمّا كان العقل أصل العلوم ورأسه فان قيل فَبِمَ يفرقون بين دلالة العقل ودلالة الهوى والمادة قيل بالردّ الى الأصل لأنّ الفرع يشاكل الأصل ولو لم يشاكله لم يكن فرعًا له ومن الدليل على وجوب حجّة الطبع تعظيم الناس كلّهم العقل وتبجيلهم إيّاه وتفضيلهم مراتب العقلاء ورفعهم أقدارهم واستنامتهم إلى

ارآئهم واعتمادهم على اشارتهم وتمنّيهم درجاتهم والاستخفاف بمن ذلّ عقله وبدا سخفه ولم يفعلوا [7 r°] ذلك بمن استقامت طباعه وكملت أخلاطه فعلمنا انه معنى غير معنى الطبع وهو العقل*

القول فى الحسّ والمحسوس، أقول أنّ الحواسّ طُرُق وآلات مُهيّأة لقبول التأثيرات كما وضعها الله عزّ وجلّ عليه فإذا باشرت الحاسّة المحسوس أثّرت فيه بقدر قبوله وقبلت منه بقدر تأثيره فبدرت به النفس وأدّته الى القلب واستقرّ فيه ثم تنازعته أنواع العلم من الفهم والوهم والظنّ والمعرفة وبحث عنه العقل وميّزه فما حقّقه صار يقينًا وما نفاه صار باطلًا والحواسّ الخمس اولًا يوجد شئ لا يمكن وجوده بشئ من الحواسّ فيحتاج الى حاسّة سادسة ويزعم قومٌ أنّها أربع ويجعلون الذوق ضربًا من اللمس وبعض يقول ستّ ويعدّون فعل القلب حاسّةً سادسةً وهذا سهل واسع بعد أن اقرّوا بصحّة وجود فعل الحواسّ لأن من الناس مَنْ ينكر حقيقة فعلها تتغيّر أحوالها ويحتج برؤية من يرى وجهه فى السيف طويلًا وقامتهُ فى المآ الذى لا يكون مساحة عمقه كساحة قامته منكسةً ويرى الصغير كبيرًا والكبير

صغيرًا والواقف سائرًا وهذا مِن رأى المعانـدين والموّهين إذ لا توجد هذه التغيّرات فى غير حاسّة البصر وذلك للعلل العارضة من بُعد المسافـة وتـكاثف الهواء فيقع الغلط من جهة الكيفيّـة والكميّـة لأن الحاسّة لا تضبط الهيْاة إذا بعُدت فـامّـا الاتية فلا يقع فيها غلط مـا لم يفرط بُعدها فلا تحصر شخصها الحاسّة وأمـا سائر الحواسّ التى فعلها بالمضامّـة والمباشرة فـلا يقع فيها اختلاف مـا صحّت وسلمت وأهون مـا يقابل بـه صاحب الرأى انـكار الحواسّ نفسها عروضًا لانـكار فعل الحواسّ ومـا اعلم انا عقلًا[1] يشتغل بردّ هذا الرأى وإنـكاره ولظهور فساده وفُحش خطـابـه*

القول فى درجات العلوم[2] أقول انّ الأشياء كلّها فى العقول على ثلاثـة أضرُب واجبٌ وسالبٌ ومُمكنٌ فـالواجب فى العقـل بنفس العقل واستدلاله كعِلمنا بـأنّ البنآء يقتضى بانيًا والكتابـة يقتضى كاتبًا ولابـدّ لكلّ صنعةٍ من صانع وان الواحد والواحد اثنانِ وان الشيخ كان شابًا والصغير كان رضيعًا وما أشبه ذلك والسالب الممتنع المستحيـل فى العقـل بنفس العقـل واستدلالـه

[1] Ms. ناعقل.
[2] Ms. المعلومات.

وهو أن يوجد كتاب بغير كاتب وصنعة من غير صانع فإنّ هذا لا يوجبه العقل ولا يتصوّره الوَهْم ولا يستقرّ عليه الطبع والممكن الجائز الموهوم فى العقل بنفس العقل كما حكى عن القرون السالفة والبُلدان النائية وما يذكر انه سيكون بعدُ فإنّ ذلك ممّا يجوز فى العقل انّه كذلك ويجوز انه ليس كذلك لأنّه لا يدلّ خاطر على تحقيق شئ من ذلك الّا ويجوز ان يدلّ خاطر على ابطاله لدخوله فى حدّ الجواز والامكان فلمّا تكافأت الادلّة به قصر على حدّ الوقوف فلا شئ الّا وهو معقول معلوم او معروف او موهوم او محسوس*

فى الحدّ والدليل [٣٧ r°] والمعارضة والقياس والاجتهاد والنظر وغير ذلك، أقول انّ الحدّ ما دلّ على عين الشئ وغرضه باحاطة وإيجاز كحدود الدار والارضين التى تميّز حصّة كل مالك من حصّة صاحبه فيعرف به داره فأرضه والزيادة فى الحدّ نقصان والنقصان منه زيادة يبطل الحدّ المطلوب كقولك الإنسان حىّ ميّت ناطق هذا حدّه فإن زيد فيه شئ او نقص انتقض لأنّ الاعتبار صحّة الحدود فى الأطّراد بالعكس

واحد وكلّ ما هدى الى شئ فهو دليل عليه فالبارئ سبحانه وتعالى دليل خلقه والرسول عليه السلم دليل أمّته والكتاب دليل والخبر دليل والاثر دليل والحركة والصواب دليل وما أشبه ذلك هذا الذى اختاره فى الدليل الذى يستدلّ أهل النظر به وقد زعم بعض الناس ان الدليل هو المستدلّ نفسه فناقضه مخالفه بأنّه لو كان كذلك لجاز للمدّعى إذا طولب بالدليل أن يقول أنا الدليل وهذا سهل قريب التفاوت لمن تأمّل أن اللغة لا تمنع ان يكون الدليل فاعل الدلالة كالشريب والسمير وان يكون غير الدلالة والمدلول عليه كالصريع والقتيل يقول المدّعى أنا الدليل إذا اراد فاعل الدلالة غير خطاء وانما يستحيل اذا أراد به عين الدلالة على ما يطالب به وقد يكون عينه دليلًا على الصّانع اذا سُئل لأنّه ما من مدلول عليه إلّا وهو دليل على شئ آخر وإن لم يكن دليلًا على نفسه وأقول ان العلّة السبب الموجب وهى ضربان عقليّة وشرعيّة فالعقليّة الموجبة بذاتها غير سابقة لمعلولاتها كحركة المتحرّك وسكون الساكن فالشرعيّة التى تطرى على الشئ فتغير حكمه ويكون مقدّمًا لها معلولًا بعلّة قبلها

والقلب فمتى لم ينعكس لم يستقم. هذا الذى اختاره فى الحدود وإن كان للناس فيه أقوال ومذاهب لأنّ من رأى بعضهم أن حدّ الشئ وصفه له فى ذاته كالعلّة وعند بعضهم حدّ الشئ من ذاته واسمه واعتبر بعضهم طرده من جانبين كما قلنا وبعضهم اقتصر فى جانب واحد اذا [صحّ] الطرد وهذا لا يستقيم إلّا فى باب الشرع والالزام التى حجب عن الناس عللها الموجبة كقول من زعم مثلًا أنّ حدّ الصلاة أنّها طاعة ثم يقول وليس كلّ طاعة صلاةً فالأولى فى هذا أنْ نسمّيه صفةً لا حدًّا لأنّه لو كان حدًّا لسلم فى الطرفين كما قال أنّ حدّ الإنسان أن يكونَ حيًّا ميّتًا ناطقًا فكلّ حىّ ميّت ناطق إنسانٌ وكلّ إنسان حىٌّ ميّتٌ ناطقٌ وقد قيل الحدّ جامع لما يفرّقه التفصيل وأقول ان الدليل ما دلّ على المطلوب ونبّه على المقصود كائنًا ما كان من جميع المعانى التى تتوصّل بها الى المدلول عليه وقد يدلّ الدليل على فساد الشئ كما يدل على صحته فاذا دل على صحة شى فهو دليل على فساد شئ والدليل على فساد الشئ فهو دليل على صحّة ضدّه ويدلّ الدلائل الكثيرة المختلفة على العين الواحدة كالطرق المؤدّية الى مكان

وشرط صحّة العلّة جريانها فى معلولها فمتى مـا تقـاعست عن الاطّراد تهافت ذلـك كوجود عين او حكم لعلّة من العلل ثمّ وجود تلـك العين والحكم مع زوال تلـك العلّة او زوال العين [f° 8 r°] والحكم مع بقـاء العلّة وصحّة العلّة كصحّة الحـدّ سوآء مع أنّ كثيرًا من النـاس يسمّون العلّة الحدّ وليس ببعيـد لاتّفـاق المعنى وقيـل ان العلـة ذات وصف واحد وذات وصفين وذات أوصاف كثيرة ولا يصحّ الحكم بها إلّا باجتمّاع أوصافها كقولنا فى الإنسان انّـه حىّ ميّت ناطق لو اخترلت صفة من هذه الصفات لبطلت ان تكون حدًّا لـلإنسان وعلّة لـه وأقول ان المعارضة تصحيـح مـا رام خصمك افساده من مذهبـك بمثـل مذهبه ومعنى المعارضة والمقـابلـة على السوآء والمماثلـة فـإذا وقعت على خلاف ما يـذهب الخصم اليه فهى ساقطة فاسدة وقـد أنكر قوم هذا البـاب وابطلوه وزعموا انـه خارج عن حدّ الجواب والسؤال فـأجابهم مخالفوهم بـانّـه ضربٌ من السؤال او زيـادة فيـه واستدلّوا بـأنّ المعارض مجيب او مرنى منـاقصه ولوجاز ان تمسك المعارض لـه عن جواب مـا عورض فيه لجاز ان تمسك

المسؤل عن جواب[1] ما سُئل إذا السائـل مستجير والمعارض مجير
ثم نزل المعارضة من صحّحا أربع منازل يصحّ منها ثلاث[2] ويبطل
واحدة وهى معارضة السؤال بالسؤال كسائـل رجلًا ما قولـك
فى كـذا فيـكـرُّ عليـه وما قولـك انت فى كـذا فهذا لأنـه
ليس فيه شئ من جواب ما سئـل والثـانية معارضة الـدعوى
بالدعوى كقـائـل ان العالم قديم فيقول لـه الخصم ما الفرق
بينك وبين من يدّعى انـه مُحدث فيلزم مدّعى القدم اقـامـة
البرهان والتفريـق بين المـدعوين ومتى بطـل قول من ادّعى
انـه محدث صحّت لـه دعواه فى القـدم لأنّ فى صحّة الشئ
فساد غيره والثـالثـة معارضة العلّـة بالعلّـة كقـول الموحّد
للمجسّم إذا قلت أنّ البـارئ جسم لانـك لا تعقل فـاعلًا إلّا
جسمًا فلِمَ لم تـقـل مركّب مؤلّـف لانـك لَمْ تَـرَ إلّا جسمًا
مركّبًا مؤلّفًا والرابعة معارضة الدليـل بالدليـل فهو أن يقـال
اذا كان دليلـك كيت وكيت فما الفرق بينك وبين من يزعم
ان الدليل شئ آخر غير ذلك فـالجواب انّـك لا تقابل علّـة
بعلّـة ومطالبتـك بالفرق مطـالبة بتصحيح الدليل واقول ان

[1] Ms. répété deux fois.
[2] Ms. répété deux fois.

القياس ردّ الشئ الى نظيره بالعلّة المشاركة ويقال القياس معرفة المجهول بالمعروف وقيل كلّ ما عُلم بالاستدلال من غير بديهة ولا حاسّة فهو قياس وقيل القياس التقدير واحتجّ قائلوه بقول الفرزدق [وافر]

ونحن الى زفوف مغوّراتٍ   نقيس على الحصا نطفًا يقينا

وهذه الأقوال قريبة المعانى كأنّها فى مشكاةٍ واحدةٍ وقد أجاز بعض القائسين القياس على الإسم كما أجازوه على المعنى والقياس الصحيح الذى يوافق المقيس عليه من جميع معانيه أو اكثرها وتسمّى القياس البرهانىّ لدخوله فى حيّز علوم الإمكان وقد انكر بعض الناس القياس فلزمه ان ينكر ما فات حواسّه وبدائهه ويُقرّ بصحّة كلّ ما جآء من حقّ وباطل وقضيّة العقول توجب ان تكون كلّ مشتبهَيْن واحدًا من حيث اشتبها وإلّا فلا معنى للاشتباه ألا ترى أنّه مستحيل أن توجد نار حارّة ونار باردة لاشتراك النيران فى طبع الحرارة وهو المعنى الموجب لها فى القضيّة وأقول انّ الاجتهاد هو امعان الفكرة والاستقصاء [٣ ٨ ٣] فى البحث عن وجه الحق

لـذى لا يصاب بـالبـديهة ولا بـالحسّ لاكـن بـالطلب
والاستدلال وهو مقدّمة القياس وكان القياس القضاء بـالشئ
على التمثيـل والاجتهاد طلب وجه ذلـك القضاء من اصحّ
وجوهه والتحرّز من وقـوع الغلط فيـه لأنّ القيـاس من غير
اجتهاد كالقول بـالظنّ من غير استدلال وأقول ان النظر فعل
الناظر بقلبه ليرى مـا خفى عليه فكما أنّ العين قد تقع على
الشئ ولا يتبيّنـه إلّا بعد النظر والتفكر فكذلـك القلب
قد تعرض له الخطرة فلا يثبتها إلّا بعد النظر والتـفكر والمناظرة
المفاعلة منه وقد تكون من تشبيه النظير بـالنظير فيكون معناه
القياس المحض ،

القول فى الفرق بين الـدليل والعلّـة ، أقول ان الـدليل مـا
هدى الى الشئ وأشار إليه والعلّة مـا اوجبه واوجده ويُوصّل
إلى الشئ بدليله لا بعلّته لأنّ علّته ايضًا مما يوصل إليها وتُعلم
بدليل لأنّ الذى يدلّ على العالم وقد يزول الدليل ولا يزول
عينه ومتى زالت العلّة زالت العين وتختلف الأدلّـة على العين
الواحدة ولاتختلف العلّة ومحالٌ وجود ما يفوت الحواسّ والبدائه
بغير دليل وغير محال وجود ما لا علّـة لـه ،

القول فى الدليل، أقول انّ من الدليل ما يوافق المدلول عليه بوجهٍ أو وجوهٍ كثيرة كرؤيتنا بعض الجسم والبعض يدلّ على الكلّ متّصلًا كان او منفصلًا ومنها ما لا يوافق المدلول عليه بوجه من الوجوه وسبب من الاسباب كالصوت يدلّ على المُصوِّت ولا يشبهه والفعل يدلّ على الفاعل ولا يشبهه والدخان يدلّ على النار ولا يشبهها ويلزم من يزعم أنّ الدليل لا بُدّ أن يوافق المدلول عليه بجهةٍ من جهاته وإن خالفه فى اكثرها فامّا إذا لم يكن بينهما مناسبة وارتفع الاشتباه ارتفع التعلّق واذا سقط تعلّق الدليل بالمدلول عليه بطل ان يكون دليلًا إلّا ان لا شئ فى الغائب إلّا جسم أو عَرَض لأنّه لا يرى فى الشاهد غير حدث وإن يُنكر ما فى العالم الأعلى لأنّ ما فى العالم الأسفل مخالف له فلا يكون دليلًا عليه فإن زعم زاعمٌ أنّه كذلك لا شئ فى جسم أو عَرَض او حدث غير أنّه مخالف لما فى الشاهد طُولب بالفرق لأنّ المخالفة تقطع التعلّق والاشتباه والزم معارضه من عارضه بأنّ لا شئ فى الغائب إلّا وهو حادث ولا فى الشاهد إلّا غير حادث*

القول فى الحدود، اقول ان الشئ اسمٌ عامٌّ يُطلق على الجوهر والعَرض وما يدرك بالبديهة والحاسّة والاستدلال من جميع ما مضى وانقضى وما هو ثابت فى الحال وما سيكون فيما بعد. وحدّ الشئ ما يصحّ أن يُعلم أو يُذكر أو يوجد أو يخبر عنه فاذا كان هذا حدّ الشئ فقد ثبت أن المعدوم شئ لأنّه يصحّ الخبر عنه وأنكر قومٌ أنّ يكون المعدوم شَيْئًا وجعلوا حدّ الشئ أن يكون مثبتًا موجودًا لأنّ الموجود والمثبت يعمّان الأشياء كما يعمّ الشئ ولا نقيض لهما قالوا فلو كان حدّ الشئ المعلومِ لوجد له [f° 9 r°] نقيض وهو المجهول وزعم بعضهم أنّ حدّ الشئ المُثبتُ لا غير ولا شئ منفى والمعدوم غير مُثبَت واحتجّ بعضهم بكتاب اللّه عزّ وجلّ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا[1] فنفى ان يكون الانسان قبل ان يخلق شيئًا وبقوله تعالى هَلْ أَتَى عَلَى ٱلْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا[2] والشئ يذكر قبل الوجود ولو لم يكن شَيْئًا غير المثبت الموجود

[1] *Qor.*, s. XIX, v. 68. Ms. اولم (sic).

[2] *Qor.*, ch. LXXVI, v. 1.

أوجب أن يكون ما يخبر عنه من اخبار العالم والقرون مُذ قامت الدنيا باطلًا هذرًا فإن قيل أنّ ذلك قد خرج مرة الى الوجود قيل وما يدريك ان ما هو كائن بعد غير خارج الى الوجود وقيل اذا خرج الى الوجود فهو شئ قيل فما خرج عن الوجود فلا شئ فإن قيل محال تقدّم الاسم على المسمّى قيل ذلك فى الخواصّ فامّا العامّ فغير ممتنع لأنّا نقول سيكون فى الدنيا أمور واسباب وحيوان فتقدّم اسمآءها قبل وجود شخصها وقد كان ابو الهذيل يغايظهم بقوله فى المعدوم انه جسم خيّاط على رأسه قلنسوة يرقص ونقيض الموجود المعدوم ونقيض المثبت المنفىّ وليس نقيض الشئ لا شئ لأنّ المنفىّ والمعدوم شيئان قد نفى وعُدم ولا شئ لا يوصف بالعدم والنفى فإن قيل فجسم هو أم عَرض أم حركة أم سكون قيل هو شئ معلوم مقدور عليه لا غير وحدّ الجسم أن يكون طويلًا عريضًا عميقًا مؤلّفًا مركّبًا من اجزاء وابعاض شاغلًا للمكان حاملًا للاعراض ولا يوجد بتة خاليًا منها او من بعضها فان انكر مُنكر أن يكون الموصوف بهذه الصفات جسمًا سُلّم له وسُوهل فى التسمية بما شآء وطُولب بالفرق

بينه وبين ما لا يوجد بهذه الصفات وكان هشام بن الحكم
يزعم فى حدّ الجسم انه ما قام بنفسه لانه كان يقول
البارئ جلّ وعزّ عن قوله جسم فالجسم فى اللغة ما غلُظ
وكثف وكذلك يقولون للجثّة العظيمة جسيمة وإنّما أُطلق
هذا الإسم على ما الموصوف به معناه فان غُيّر اسمه لم
يتغيّر معناه وإنما يتبيّن الفرق عند تفصيل الأسماء
والأشخاص وحدّ العرض أن لا يقوم بنفسه ولا يوجد إلّا
فى جسم فإن أنكره منكرٌ قوبل بما يقابل به منكر
الجسم وطولب بالفرق بينه وبين غيره ثم كلّم على ما أشار
اليه من المعنى وقد زعم قوم أن لا عرض فى العالم وأن
الأشياء كلها أعراض مجتمعة متفرّقة وحدّ الجوهر حدّ بعينه
لانّه جسم ولأنّ ما خلا عن حدود الجسم والعرض والجزء
لم يضبطه الوهم ولا يتصوّر فى الظنّ الّذى هو أضعف أجزاء
العلوم ودخل فى خبر الامتناع وقد يسمّى الجوهر الطينة
والمادّة والهيولى والجُزْء والعنصر والاسطقس واختلف الناس
فى الجزء الّذى لا يتجزّأ من الأجسام فقال كثيرٌ من
الناس انّه لا يزال مجزّأً حتّى يصير فى الصغر الى حيث

لا يجوز ان يتجزّأ ولا يكون لـه ثُلث ولا رُبـع ولا نِصْف
قـالوا ولولا ذلـك لَما كان لـلأجسام تنـاهٍ ولما كان شئ
أكبر من شئ ولا أصغر منه ولما جاز لقائل أن يقول أنّ
الله قـادر على أن يرفع من الجسم كلّ اجتماع خلقـه فيـه
فـأقـلّ الاجتماع بين جزئَيْن قـال ابن بشّار النظام وهشام بن
الحكم انـه يتجزّأ تجزّءا بـلا نهايـة ولم يتهيـأ بـالفعل
فـانّـه موهوم واحتجّوا بـأنّـه كما لا يجوز أن يخلق الله
شيـًا لا شئ أكبر منـه فكذلـك لا يجـوز [f° 9 v°] ان
يخلق شيـًا لا شئ أصغر منه وقـالوا لو كان قول من قـال
أنّ الجـزء لا يتجـزّأ صحيّحا كان فى نفسه لا طول لـه ولا
عرض فـإذا حدث لـه ثـانٍ حدث لهما طول فلن يعـدّوا
الطول ان يكون لأحدهما دون الآخر أو لَهما معًا فلمّا ثبت انّـه
لهما[1] علم انّـه يتجزّأ وقـال الحسين النجار الجزء يتجزّأ حتّى يعود
إلى جزء لا يقبله الوهم فيبطـل حينئذٍ وقـال قومٌ لا ندرى
كيف القول فيـه واختلفوا فى جواز الرؤيـة عليـه وحلول
الأعراض فيه من اللون والحركـة والسكون وغير ذلك فأجازه

[1] Ms. ajoute و.

قومٌ ونفاه آخرون والقدماء مختلفون فى هذا الفصل على خلاف قول أهل الاسلام فيزعم بعضهم انّه يُرى قبل الاسطقسات الاربعة اسطقسات آخر صاغر الأجزاء غير متجزّئة فى غاية الصغر منها تركيب الاسطقسات التى منها تركيب العالم وامّا ارسطاطاليس يقول امّا التجزئة بالقوة فانها[1] بلا نهاية وامّا بالفعل فلها نهاية وقال بعضهم لا يتجزّأ لا يقبل الانفعال مع اختلاف كثير بينهم، وحدّ الزمان حركة الفلك ومدى ما بين الأفعال هذا قول المسلمين وحكى عن افلاطن أنّه يرى الزمان كونًا فى الوهم وحكى ارسطاطاليس فى كتاب السماع الطبيعى أنّ جميع القدماء كانوا يقولون بسرمديّة الزمان الّا رجلًا واحدًا يعنى افلاطن وروى عنه افلوطرخس[2] أنّه قال جوهر الزمان هو حركة السماء هذا وفاق قول المسلمين وبعضهم يقول أنّ الزمان ليس بشئ مع اختلاف كثير بينهم وإنّما ذكر ما ذكر من مذاهبهم لتطمئنّ نفس الناظر الى خلاف القائلين بالعقل والتميز وليستفيد يقينًا بما

[1] Ms. فانه.

[2] Ms. افلوطوخس.

يعضده من وفـاق قولهم لأن فى الإجماع قوّة وهو من أوكـد
أسباب الاستظهار[1] عليهم، وحدّ المكان ما اعتمد عليه الجسم
أو أحاط بـه أو حلّه العَرض وهذا أراده ارسطاطاليس حيث
قـال المكان نهايـة المحتوى الـذى يماسّ مـا يحتوى عليه
واختلفوا فى الخلآء والفضآء فـقـال قومٌ العالم لا خلآء فيـه
وإنّ الهوآء جسمٌ منتشر بسيط ويمتحن بـالآلـة الّتى هى على
هيئـة[2] الرطل فى أسفلها نقب فـاذا شُدّ اعلاها لم يخرج الماء
من اسفلها واذا فتح سَال فعُقل أنّ المآء دفعه دافع وهو الهوآء
الداخل فى الكوز وَقـال آخرون لا يخلو الأجسام من خلآء
وهو الفُرج بين الأجزآء واستـدلّوا بـالمآء الـذى يُصبّ على
الأرض فيغوص فيها وفرق قومٌ بين الفضآء والخلآء فـقـالوا
الخلآء هو الفراغ من الجسم والفضآء هو المحتوى على الخلآء
بـلا نهايـة ويزعم قوم أنّ الخلآء والفضآء شئٌ واحد ويقول
آخرون انـه ليس بشئٍ وحدّ المتغايرين مـا جاز وجود أحدهما
مع عدم الآخر وقـال بعضهم حدّهما ما اختلف أوصافها وحدّ

[1] Ms. الاستطهار.

[2] Ms. هَيـأة.

الضدّين مالايجوز وجود أحدهما إلّا مع عدم الآخر وحدّ الموجود ما ثبت علمًا او حسًّا او وهمًا وهو معنى الشئ وحدّ الاسم ما دلّ على المسمّى بالتميز من جنسه والصفة كالاسم فى بعض الأحوال إلّا أنّ خاصّيّة حدّها الاخبار عمّا فى الشئ كالعلم فى العالم وقد يفرق قوم بين الوصف والصفة فيجعلون الصفة ما هو ملازم للموصوف والوصف قول الواصف ذلك وحدّ الارادة ما يضطمره الانسان [r° 10 f°] فى قلبه من فعل او قول او حركة وحدّ القول ما يُبديه القائل بلسانه وقد يقال للاشارة قول على المجاز وحدّ المعنى عقد القلب على ما ابدى بلفظه فزعم ابن كلّاب ان معنى القول نفس القول ولو كان كذلك ما سأل السامعُ القائلَ ما معنى قولك وحدّ الحركة زوال وانتقال وهى على ضروب فمنها الحركة الذاتيّة والمكانيّة وقد قيل الحركة اختلاف وتغيير وحدّ السكون لبث واستقرار وزعم بعضهم ان السكون ليس بشئ وحدّ الجنس ما يجمع أشياء مختلفة الصُوَر كالحيوان والنبات وقد قيل الجنس ما استوعب الانواع وحدّ النوع تخصيص النظائر من الجنس والشخص تميز الذات من النوع والشخص تحت النوع

والنـوع تحت الجنس وهذا المقـدار من هذا البـاب لإغنـاء بـأحدٍ عن مطالعتـه فـإنّـه كالمادّة للنظر والآلـة للجدل ،

القـول فى الأضداد ، اقـول ان قـول من يـزعـم انّ الشىْ لا يُعرَف إلّا بضدّه محالٌ لأنّ معرفـة الشىْ بحدوده ودلائلـه بل شكلـه ونظيره أسكن[1] من معرفتـه بضدّه ونـديـده لأنّ الشىْ يـدلّ على جنسه ونوعـه ما لا يـدلّ على ضدّه ولكن الضدّين لا يجتمعـان وعنـد صحّـة الشىْ فساد ضدّه ولا يقع التضادّ إلّا بين الموجودات فبطـل قول القائـل أن ضدّ الجسم لا جسم وضدّ العرض لا عرض وضدّ الزمان لا زمـان وضدّ المكان لا مكان وضدّ الشىْ لا شىْ لأنّ الأضداد أشيآء متنافية وقول القائـل لا جسم ولا عرض لا شىْ فى الحقيقـة فكيف يُضادّ الشىْ بـلا شىْ ولكن الأجسام والأعراض اشيآء مضادّة كالأسود ضدّ الأبيض والقديم ضدّ المحدث لأن القديم الموجود لا إلى أوّل والحادث ما يوجد بعد ان لم يكن[2] ،

القول فى حدث الأعراض ، أقول أنّ معرفـة حدث الأعراض

[1] Ms. اسكى.

[2] Ms. لم يكن.

من أوائل العلوم القائمة فى النفس البديهة وما المنكر لها إلّا بمنزلة المنكر للظاهر المحسوس لمعاينتنا تعاقب الألوان المتضادّة على الأجسام كالسواد بعد البياض والبياض بعد السواد وكذلك الروائح المتضادّة[1] كالكريهة والطيّبة وسائر الحالات الّتى لا يخلو الجواهر منها كالحرّ والبرد والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة والحركة والسكون والاجتماع والاقتران والافتراق والطعوم الملاذّ والمكاره وما نجده من أنفسنا من الحبّ والبغض والإرادة والكراهية والشوق والملامة والجبن والشجاعة والقوّة والضعف والشبيبة والمشيب والنوم واليقظة والجوع والشبع وما نراه من حال القيام والقعود والقرب والبعد والحياة والموت والفرح والحزن والرضا والغضب وسائر العوارض التى تطرأ على الأجسام وبعد أن لم يكن وتزول[2] بعد أن كانت وهذا باب يستكمل جميع أوصاف العالم وما فيه لو تكلّفه متكلّف لأنّه الدليل على الحدث والكون وقليل الشئ يدلّ على كثيره فإن زعم زاعمٌ أنّ هذه الأعراض

[1] Ms. التضاده.

[2] Ms. نزول.

جسام طولب بالفصل بين الحامل والمحمول ولا بُدّ من
لتفصيل بينهما ثمّ من الدليل على أنّ العَرض غير الجسم جواز
الاختلاف عليه وعين الجسم باقية كالبشرة الخضراء مثلاً
تراها تصفرّ [٣٠ 10 r] فتبطل خضرتها ثم تحمرّ بعد صُفرتها وعينها
قائمة وكالراضى يغضب فيختلف حاله وعينه لا تختلف
والشابّ يشيب والحىّ يموت فلما لم يجز ان يقال لمن قد شاب
انّه ليس بذاك الشابّ ولمن مات انه ليس بذاك الحىّ مع
ورود حال وارتفاع حال أخرى عقل أنّ العرض ليس بجسم
ولا بعض الجسم لأنّه لو كان كذلك لتغيّر الجسم كما
تغيّر الأعراض الحادثة فإذا ثبت أنّ الأعراض غير الأجسام
وجب إن ننظر أحادثة هى أم قديمة فلمّا رأيناها كائنة بعد أن
لم تكن وزائلة بعد أن كانت دلّنا ذلك على حدوثها
وكونها كوجودنا الجواهر متفرقة بعد أن كانت مجتمعة ومجتمعة
بعد أن كانت متفرّقة ولن يخلو أن [تكون] مجتمعة بأنفسها
أو باجتماع فيها فإن كانت مجتمعة بأنفسها لم يَجُزْ وجودها
متفرقة ما دامت انفسها قائمة فعلمنا أنّها مجتمعة باجتماع ثم
نظرنا أذلك الاجتماع جوهر او عرض فدلّنا أنّه لو كان

جوهرًا لكان مجتمعًا باجتماع آخر ثم كذلك الى ما لا نهايـة فلما
بطل ما قلنا علمنا أنّه مجتمع باجتماع هو عرض لا جوهر وكذلك
القول فى الحركة والسكون فـإنْ قيـل أنّ الاعراض كانت
كامنـةً فى الجسم ثمّ ظهرت بعد ظهورها حادث أم غير حادث
مع استحالـة أن يكون الاجتماع والافتراق والحركة والسكون
كامنـة فى الجسم فيكـون الجسم فى حال واحدة ووقت واحد
ساكنًا متحرّكًا ومجتمعًا متفرّقـا فـإن التجـأوا الى مذهب
من يقول بـالهيولى وانّـه كان جوهرًا قـديمًا لم يزل خاليًا من
الأعراض ثم حدثت فيه الأعراض فحدث فيه هذا العالم بما فيه
قيل لا يخلو حدوث الأعراض فيه من أن يكون كانت كامنـة
فظهـرت او كانت فى جوهر آخر فـانتقلت أو لم تكُنْ بتّـة
فـأحدثت فلمّـا استحال كون الأعراض فى الجـوهر الـذى
يزعمونـه خاليًا من الأعراض ان يكـون مثـل أجسام العالم أو
دونها أو أعظم منها او يكون جُزْءًا لا يتجزّأ أو كيف مـا كان
فـإنّ الصغر والكبر والمثل اعراض لم ينفك منها ولم ينفك من
الحوادث فحادثٌ، واعلم أنّ أحكام هذا الفصل من الفـرض
الواجب والحقّ الـلازم وخاصّةً معرفـة حدث الأعراض وان

الجوهر لا ينفك منها لأنّها الدليل الظاهر على الحدث والحادث
والاختراع ونسأل الله التوفيق والتسديد وأن يعصمنا برحمته
ويزيدنا بصيرةً فى طاعته ؛

القول على أهل العنود ومُبْطلى النظر، أقول أنّ طائفةً من
الجاحدين سمّاهم السوفسطانيّة معنى هذه اللفظة عندهم
الموّهون المخرقون وقد سمّاهم ارسطاطاليس الملحدين
أبطلوا العلوم كلّها رأسًا وزعموا انّ لا حقيقة لشئ من العلوم
والمعلومات فانكروا موجود الحواسّ ومعقول البدائه
ومستنبطات الاستدلال وزعموا أنّ الأشياء على الخيلولة
والحسبان وكما يراه النائم فى المنام وقد أعرض كثير من
لناس عن مناظرتهم وعيّت على من اشتغل بالردّ عليهم لأن.
ما أنكروه ضرورة المشاعر والبدائه التى يستغنى فيها عن
الدليل لأنّها اصل العلوم ومتى ذهب ذاهبٌ يدلّ على صحّته
فقد أوجب الدليل لما لا يحتاج فيه حتّى يقوده ذلك الى
ما لا نهاية له وناقضهم من ناقضهم مرئى [1] العامّة فساد
مذهبهم فقال الحسّ اوجدكم [f° 11 r°] ما تدّعون أم النظر

[1] *Sic*, ms.

قـادكم الى مـا تزعمون فـان ادّعوا الحسّ كـذبهم العيان وإن ادّعوا النظر قـالوا لعلّكم غالطون فى نظر عقولكم ولعلّ نظر مخالفيكم يـدلّ على خلاف نظركم فـان سلّموا الأمر لزمهم أن لا ينـاظروا مخـالفًا ولا يخطّؤا مُخطئـا ولا يحمدوا مُحسنًا ولا يـذمّوا مُسيـا وهذا خلف من القول ووهن فى الرأى وإن ادّعوا ترجيح نظرهم فـقـد اثبتوا النظر ونقضوا الأصل الـذى بنوا عليه مذهبهم وقـد احتبس هذا الرأى صنفـان من هذه الأمّـة مقلّـد مبطـل النظر ومدّعى أن لا دليـل على النـافى فلزمهما من ذلـك مـا لزم أصحاب العنود وقيـل لهم أبنظرٍ وحجّةٍ أفسدتم نظر العقول وحُججها أم بغير حجّة فـإن قـالوا بنظر فكيف يبطلون النظر وهم يثبتونـه وإن زعموا بغير نظر فـالسؤال والجواب من النظر ولا يلقى بـه من ليس من اهل النظر وكلّ كـلام من غير نظر فجحود أو عنود أو سهو أو غلط أو عَبَث وبمثلـه يقـابـل الـزاعم أن لا دليـل على النـافى ثمّ نفيتَ الدليل مع أنّك مع نفيك ما نفيته أحد المدعين اذ انت لو عارضك خصمك بمثل قولك وابطل دعواك ثم إذا طالبتَـه بتصحيـح مذهبه أحال على مذهبك فهل غير اثبات الدعوَيين

أو اسقاطها ولنظّار نحل الإسلام وفقهائهم حجاجٌ كثيرة فى هذا الباب وليس هذا من غرض هذا الكتاب ومما يستدلّ به على وجوب النظر انّه لمّا لم تكنْ الأشياء كلّها موجودة حقًّا ولا كلّها باطلة حقًّا ولكن حقًّا وباطلًا ثم وجد الاختلاف فيها شائعًا على النظّار إمّا من عالِم مُعانِدٍ او جاهلٍ عاجزٍ ولم يكن الأخذ به على اختلافه وجب عليه بالنظر الذى يميّز بين الحقّ والباطل وأيضًا لمّا لم تكن الأشياء كلّها ظاهرةً لأنّها لو ظهرت لَما جُهل شئٌ ولا كانت خفيّة لأنّها لو خفيت كلّها لَما عُلم شئٌ وكان منها ظاهرٌ جلىٌّ وباطن خفىٌّ وجب طلب علم ما خفى منها ولا يوجد ذلك إلّا بالنظر،

القول فى مراتب النظر وحدوده، أقول أنّ العلماء الذين وطّأوا للنُظّار سبيل النظر ومهّدوا لهم سبيل الجدل أضربوا فى ذلك حدًّ من تعدّاه او قصّر دونه تبيّن تنكُّبُه[1] وتعسُّفُه وخلل مذهبه وفساد بيّنته فجعلوا السؤال أربعة أقسام لا يقع فيها صدق ولا كذب لأنّها استخبار عن مائيّة[2] المذهب

[1] Ms. بيّن نكبه.

[2] Ms. مائة.

اوّلا ثم عن الـدليـل ثم عن العلّـة ثم عن تصحيـح العلّـة وذلـك نهايـة فصول النظر واستقرار صحّة الدعوى وفسادها وقـابلوا أقسام السؤال بعددها من الجواب وكلّها أخبار تحتمل الصدق والكـذب لأنّ الصدق الإخبـار عن الشئ بما فيـه والكذب الإخبار عنـه بما ليس فيـه والسؤال ليس بـإخبار فيحتمل الصدق والكذب وانّما يـوجب السؤال أحد الشيئين إمّا الجهل بـه وإمّا امتحان المسئول عنه والجواب يوجب القبول والتسليم والردّ والإنكار بمعارضة او مطالبة بـالدليل والدليل يـوجب العلّة والعلّـة تحقّق الجواب إذا طردت صحّت وحيثما انتهى الخصم وسلّم انتهى الكلام ؛

[f° 11 v°] القـول فى عـلامـات الانقطـاع ، أقـول المنـاقضة والانتقـال والعجز عن بلوغ الغـايـة وجُحد الضرورة ودفـع المشاهدة والاستعانـة بـالغير والسكوت للعجز كلّها من دلائـل الانقطـاع وكلّ سائـل مخيّـرٌ فى سؤالـه متفقها كان [أو] متعنّتا أحقّ فى سؤاله او أحال وليست كذلـك حال المجيب بـل عليـه القصد للحقّ وتعريف السائـل وجه سؤال من إصابـة وإحالـة ولا عليه أن يجيبه عن مسئلة هى فرعٌ

لمسئلةٍ يخالفه فيها حتى يقرّره بإيجابها وتأخذ ميثاقه
على القول بها لأنّ الخلاف اذا كان واقعًا فى الأصل لم يطّرد
القياس فى الفرع وذلك فى التمثيل كسائلٍ عن الرسالة
منكرٍ للتوحيد وإنّما تصحّ النبوّة بصحّة التوحيد لأنّه الموجبُ
لها وكلّ سؤال يرجع الى السائل بمثل ما يريد أن يلزمه المسئول
فغير لازم لأنّ المعارضة فيه قائمةٌ فطلبُ الدليل على الدليل
والعلّة على العلّة إلى ما لا نهاية له فاسدٌ لأنّ محصول
الظواهر المحسوس ومحصول البواطن المعقول وما لا نهاية له
غير موجود ولا معلوم ولا موهوم وقد يُستحسن لابن الهذيل
قوله إنّ صحّة الصحيح وانتقاض المنقوض فى جميع ما
اختلف فيه المختلفون يُعلَم فى ثلاثه أوجه أحدهما إجرآء[1]
العلّة فى المعلول والثانى نقض العلّة بالتفسير والثالث
جحد الاضطرار فامّا ترك إجرآء[1] العلّة فى المعلول فكقول
الرجل فرسى هذا جواد فيقال ولِمَ قلت ذلك قال لأنّى
أجريته كذا فرسخًا فيقال له أكلّ فرسٍ جرى فى اليوم
كذا فرسخًا فهو جواد فإن قال نعم أجرى علّته وان

[1] Ms. les deux fois, اجرآ.

قال لا فقد نقضها وهو يحتاج الى علّة أخرى وأمّا نقض الجملة بالتفسير فكقول القائل إذا اشتدّ حرّ الصيفة اشتدّ[1] برد الشتوة التى تليها واذا اشتدّ برد الشتوة اشتدّ حرّ الصيفة الّتى تليها ثم يقول وقد يشتدّ حرّ الصيف ولا يشتدّ برد الشتآء الذى يليه فيكون قد نقض بهذا التفسير الجُملةَ الّتى تقدّمت لأنّها لو صحّت لم يشتدّ حرّ الصيف إلّا باشتداد برد الشتآء أبدًا وأمّا جحد الاضطرار ففى البدائه والحواسّ وذلك كسؤالنا الدهرية عن شيخ رأيناه على كرسيّ فى هيئته وخضابه أيزعمون أنّه لم يزل هكذا قاعدًا فى مكانه بحاله التى هو عليها من الكسوة والخضاب فان قالوا نعم جحدوا الاضطرار بشهادة العقول بابطالهم، واعلم أنّ السكوت بعد استقرار الحقّ أبلغ من الكلام فى الذبّ عنه وزيادة البيان هُجنة وربّما أورثت فرصة لأنّ الإفراط نقص وعلم بفلج[2] الحجّة ودحوصها[3] أبلغ من افصاحك

[1] Ms. واشتد.

[2] Ms. فلج.

[3] Ms. ودحوضها.

بهـا لأنّ الشاهد شاهد القلب لا شاهد اللسان وليس كلّ
من لزمه قول مناظره او عجز عن جوابـه فى الوقت وجب عليه
المصير الى مذهب خصمه ولكن بعـد التبيّن والتثبيت
واستبراء الحال والرجوع إلى الأصول الموطودة والأعلام المنصوبه
فـإذا انكشف الغطاء عن وجهه وصرّح المحض عن زبـدهِ
وأومض الحقّ سيره فلا يسع حينئذٍ غير الاقرار والانقياد لـه
وليس من الحقّ تكليف الخصم إظهار مـا هو خفىّ فى نفسه
لانّـه غير ممكن كما يمكنه اخفآءُ مـا هو ظاهر فى نفسه ولانّ
ذلـك [f° 12 r°] إزالـة الشئ عن وجهه فهـذه مقـدّمـات
قدّمناها نظرًا للناظر فى كتابنـا ونُصحًا لمن احتاط لـدينه
وتحرّز من تمويـه الملحدين وتلبيس المخرقين وخطرات المجانّ
ووساوس الخلعآء الذين أفسد الفراغ فكرهم وأخمدت الكفايـة
قرائحهم وحلّت عن الدقائق عقولهم وعاشت بصنوف الشهوات
نفوسهم وملكهم الهزل وركبهم الجهل واسترقّهم البـاطـل
وهجرتهم الفكر وعميت عليهم مواقـع النظر فـاحتـالوا فى
إسقـاط التكليف عنهم ليمرحوا فى ميادين الشهوات وليـركبوا
مـا يهوونه من اللـذّات بـانكار علوم الأصول من البديهة

والحواسّ واللّـه المستعان وهو خيرٌ معينٌ، وبعـد فـإنّ لأهل الإسلام أصولًا من الكتـاب والسُنّـة والاجماع والقيـاس عليها مـا يقوم لهم الحجّة بها بينهم ويقنعون بشهادتها ودلائلها وكذلـك أهل كلّ ملّة ودين وكتاب غير أنّ ذلـك لتصحيح فروع دينهم وشرائع ملّتهم فلـذلـك أضربنـا عن ذكره صفحًا *

الفصل الثانى

فى اثبات البارئ وتوحيد الصانع بالدلائل البرهانيّة والحجج الإضطراريّة

أقول أنّ الدلائل الّتى تدلّ على اثبات الله عزّ وجلّ غير محصاة ولا متناهية فى أوهام الخلائق لأنّها بعدد أجزاء أعيان الموجودات من الحيوان والنبات وغير ذلك ممّا خفى من الأبصار لأنّه ما من شئ وإن صغُر جسمه ولطُف شخصه إلّا وفيه عدّة دلائل تعبّر عن ربوبيّته وتصرّح عن إلاهيّته تصريحًا ينتفى مع أدناها الشبهة ويُزاح العلّة وإلى هذا المعنى نظر بعض المحدّثين وفى كلّ شئ له آيةٌ تدلّ على أنّه واحد ولن يجوز غير ما قُلنا لأنّه لما كان هو خالق الخلق وصانع الصُنع ومخترع الأعيان ومُخرجها من العدم الى الوجود لم تخلُ من آثار خلقه واختراعه فهى الدلائل المقترنة بها الشاهدة على صانعها ومُنشئها فمن الدليل على اثبات البارئ سبحانه

وتعالى أنّه خلافٌ بين الأوائل والأواخر إنّ الأرض منها عامر مسكون معلوم وعامر مسكون غير معلوم وخراب مجهول غير مسكون وان عظم المسكون المعلوم منها العرب وفارس والروم والهند وهم ذووُ[1] الآداب والاخلاق من سائر أهل الأرض لهم السِيَر والسُنَن والآيين والحكمة والهمّة والنظرُ والخصال المحمودة والعلوم المأثورة من الطبّ والتنجيم والحساب والخطّ والهندسة والفراسة والكهانة والأديان والكتب وغير ذلك ممّا يستعملونها فى معاملاتهم وموضوعاتهم وما سواهم رَعاعٌ وهمجٌ سافلوا الرتبة عن رتب من قدّمنا ذكرهم وناقصوا الحظّ من حظوظهم إمّا ببهيمىّ الطبع فى قلّة التميز والفطنة وإمّا سَبُعيّة فى الجفوة والغِلْظة حتّى أنّ منهم مَنْ ينزو بعضهم على بعض ومنهم من يأكل بعضهم بعضًا لعلل قد ذكرها القدمآء ليس هذا موضع شرحها بقول الله سبحانه وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[2] ثمّ إنّ هذه الأمم[3] المحمودة أخلاقهم مع اختلاف أصنافهم وافتراق ديارهم وتفاوت آرائهم فى المذاهب

[1] Ms. ذو.

[2] *Qor.*, ch. XVI, v. 8.

[3] Ms. الامّة.

ألّتى ابتجلوا والأديـان [f° 12 v°] الّتى اعتقـدوا لم يختلفوا فى وجود آثـار الصانع الحكيم فى هذا العالم وما يشاهدونـه فى أجزائـه وأبعاضِه واختلاف طباعه وتعاقب أعراضه فـاذا صحّ وجود البـارئ الأزلىّ القـديم الأوّل السابق ببـدائـه العقول وشهادة النفوس واضطرار الفطرة والجاء الخلقة بـذلـك بنى تـأسيسهم وعليه بنى تركيبهم إلّا مَنْ شذّ مِنْ جاهل أو جاحد مؤوف فى نفسه أو مغلوب على عقله إذ غير مفهوم ولا موهوم أثر من غير مؤثر ولا صُنع من غير صانـع ولا حركـة من غير محرّك كما يجحد الضرورة وجود كتاب بلا كاتب وبناء بلا بانٍ وصورةٍ بلا مصوّر فسبحانَ مَنْ لا انتهآءَ لـه إذ لا ابتدآء لـه منـه البدايـة وإليه النهايـة مُبدع القوى وممدّ المواد وسابق العلل ومنشئ البسائط ومركّب العناصر وحافظ النظـام ومدبر الأفلاك ومحدث الزمان والمكان ومحيل الأركان الحكيم العَدْل القائم بالقسط الناظر للخلق البرئ من المعائب الغنىّ عن اجتلاب المنافع مدبّر الأمور ومدهّر الدهور أرخى على الأوهام ستـور ربـوبيّتـه وضرب على مطالع العقول حُجب إلاهيّتـه فليس يُعْرَف إلّا بما عرّف بـه الخلق نفسه ولا يُـدرك أحدٌ

من صفاتـه كنهة الأبصارُ عن بـدائع صنعه خاسئةٌ والبصائرُ
عن ملاحظتها نـابئةٌ والقلوب فى آثـار الدلائـل عليه حائرة
والنفوس مع حيرة القلوب إليه والهة والعقول عنـد محافظـة
الاشراف عليه مضمحلـة متلاشية معبود فى كلّ زمان معروف
بكلّ لسان مذكور بكلّ اللغات موصوف بتضادّ الصفات ليس
كمثلـه شئٌ وهو السميع البصير نحمده على ما هدانـا ولـدينه
اجتبانـا ونشهد ان لا الـه إلّا اللّـه نتميّزُ بـه عن المشركين
ونتزيّـل عـدد الجاحدين ونشهد ان محمّدًا عبـده ورسولـه
أرسله بالهدى ودين الحقّ غير حادس ولا ساحر ولا كاهن ولا
شاعر ولا محتال ولا متنبٍّ كذّاب ولا مريد دنيا ولا قـائـل
بـالهوى فـأبلغ وأدّى وانـذر وأهدى وصدع بـأمر اللّـه
حتى أتـاه اليقين فصلوات اللّـه على روحه غـاديـةً وبردات[1]
رحمتـه مترادفـة على آلـه اجمعين ، هذا التحميد الـذى وجب
أن نصدّر بـه كتابنا أخّرنـاه الى حيث قدّرنـا انـه أولى بـه
وأليق ، ومن الدليل على اثبات البارئ سبحانـه وَلَـهُ النفوس
وفزعُ القلوب إذا حزبت الحوادث إليـه اضطرارًا إذْ لا يوجد

[1] Lisez بركات ?

مضطرّ وقد عضّتهُ نائبة ولدغته ناكبة يفزع الى حجر أو شجر أو مدد أو شئ من الخلائق الّا اليه ويدعوه بما هو معروف عنده من اسم او صفة هذا مشاهد عياناً كما تفزع النفس عند المكاره المخوفة إلى طلب المهرب والنجاة وكما يفزع الطفل الى ثدى أمّه ضرورةً وخلقةً كذلك الله فى معرفة خلقه إياه لأنّ أثر الدلالة فى الخلق عليه أعظم من أثر الطبع إلى ما لا يلائمه وينافره ولا يمكن الملحد المنكر وان غلا وتعمّق فى الإلحاد الامتناع[1] فى معرفة اللّه واجراء ذكره واسمه على لسانه شاء أمْ أبى فى حال عمده ونسيانه لأنّ قلبه ولسانه على ذلك الخُلق كما أنّ طبعه على الميل الى المحبوب والازورار عن المكروه جُبِلَ [f° 13 r°] ومن الدليل على اثبات البارئ جلّ وعزّ أنّه لا يخلو لسان أمّةٍ من الأمم فى أقطار الأرض وآفاقها إلّا وهم يسمّونه بخواصّ من أسمائه عندهم ومستحيل وجود اسم لا مسمّى له كاستحالة وجود دليل على غير مدلول عليه بل المدلول موجب لدليل كذلك المسمّى موجب الاسم وما هو فى التمثيل إلّا بمنزلة

[1] Ms. والامتناع.

الحامل والعرض المحمول فكما يستحيل وجود عرض إلّا فى جوهر كذلك يستحيل وجود اسم إلّا لمسمًّى فمن ذلك قول العرب له اللّه مفردا من غير أن يشاركوه فى هذا الاسم بأحد من معبوداتهم لانّه خاص لهم عندهم وكانوا يُطلقون على غيره على التنكير وامّا الربّ بالتعريف والرحمن فلم يكونوا يجيزونه إلّا لله تعالى وانّما تسمّى[1] مسيلمة الكذاب بالرحمٰن مضادّةً لله جلّ وعزّ ومعاندةً لرسوله عليه السلم ذلك مشهور مستفيض فى قوافى أوائلهم قبل قيام الإسلام فمن ذلك قول بعضهم فى الجاهليّة [طويل]

أَلَا ضَرَبَتْ تِلْكَ ٱلْفَتَاةُ هَجِينَهَا   أَلَا قَطَعَ ٱلرَّحْمٰنُ مِنْهَا يَمِينَهَا

فأضاف فعل القطع الى الرحمٰن لأنّه أراد به الدعآء وعلم أنّه لا يجيب الدعآء إلّا الله وقول أميّة بن ابى الصلت [بسيط]

وَٱلْحَيَّةُ ٱلْحَتْفَةُ ٱلرَّقْشَآءُ أَخرجَها   مِنْ جُحرِهَا آمِنَاتُ ٱللّٰهِ وَٱلْقَسَمُ

إِذَا دَعَا بِٱسْمِهِ ٱلْإِنْسَانُ أَوْ سَمِعَتْ   ذَاتَ ٱلْإِلٰهِ يُرَى فِى سَعْيِهَا زَرَمُ

[1] Ms. ستى.

وإنّما أتينا بهذا البيت حجّةً لإثبات اسم الإلاهيّة لا لرُقْيَة الحيّة وقول زيد بن عمرو. [طويل]

إِلَى ٱللهِ أهدِى مِدْحَتِى وَثَنَايَايا[1] وَقَولًا رَصِينًا لابنى الدهر باقيا
إِلَى ٱلمَلِكِ الأَعْلَى الّذى ليس فوقَهُ إلهٌ ولا ربٌّ سواه مُدَانِيا

وقول فارس هرمز وايزد ويزدان ويزعمون أنّ عبادتهم النار يقرب إلى البارئ عزّ وجلّ لأنّها أقوى الإسطقسات وأعظم الأركان كما قال مشركوا العرب فى عبادتهم الأوثان ما نعبدهم الّا ليقرّبونا الى الله زُلْفَى ولا يجوز أن يكون غير هذا حالة من يعبد شيئًا من دون اللّه لأنّه يعلم أنّ معبوده من خشب أو حجر أو نحاس أو ذهب أو شئ من الجواهر غير خالقه ولا صانعه ولا مدبر أمره ولا محوّله ولقد دخلتُ بيت نارخُوزَ وهى كورة من كور فارس قديمة البناء وسألتهم عن ذكر البارئ فى كتابهم فأخرجوا إلىّ صُحفًا زعموا أنّها الابسطاآ وهو الكتاب الّذى جاءهم به زردشت فقرءوا علىّ بلسانهم وفسّروه علىّ بمفهومهم الفارسيّة

[1] Ms. ثنايايا.

فيكمازهم بهسته هرمز وبشتاسبندان فكمازهم رستخيز قالوا
وهرمز هو البارئ بلسانهم وبشتاسبندان الملائكة ومعنى
رستخيز فَنِي فَقُمْ وقول الأعاجم بلسان الدريّة خداى
وخداوند وخدايكان وقد سمعتُ غيرَ واحدٍ قال فى تأويله
خدست وخوذبوذ معناه أنّه هو بذاته لم يكوّنه مكوّنٌ
ولا يُحدثه مُحدثٌ وقول الهند والسند شيتاوابت ومهاديو
وأسماء كثيرة غير هذه يصفونه بخواصّ افعاله [v° 13 f°] وقول
الزنوج ملكوى وجَلوِى قالوا معناه الربّ الاعظم وقول
التُرك بير تنكرى يعنون الربّ واحد وزعم بعضهم أن تنكرى
اسم لخضرة السماء فإن كان كما ذكروا فإنّهم قد امنوا
بالمعنى المطلوب من الإلهيّة وانّما شكّوا فى الصفة وقال
بعضهم تنكرى هو السماء واسم البارئ عندهم بالغ بايات
معناه الغنى الاعظم وقول الروم والقبط والحبشة وما يدانيها
من البُلدان بالسُريانيّة لأنّ عامّتهم نصارى لاها ربا قدّوسا
ولا فرقَ بين السُريانيّة والعربيّة إلّا فى أحرُف يسيرة فكأنّ
السريانيّة سلخت من العربيّة والعربية سلخت من السريانيّة
وقول اليهود بالعبرانيّة ايلوهيم ادناى اهيا شراهيا

ومعنى ايلوهيم اللّه واوّل[1] التورية برشيت بارا ايلوهيم يقول اوّل شئ خلقه اللّه هذا الذى عليه معظم الأمم والأجيال من أهل الكتاب وغيرهم فامّا أقاطيع الناس فى مجاهيل الأقاليم فمن يحيط بلغاتهم إلّا الذى خلقهم وقسم بينهم ألسنتهم وسمعتُ قومًا من برجان يسمونه ادفوا فسألتهم عن اسم الصنم فقالوا فع وسألت القبط من صعيد مصر عن اسم البارئ بلغتهم فزعموا احد شنق كذا ظنّى واللّه أعلم،

ومن الدليل على إثبات البارئ سبحانه هذا العالم بما فيه من عجيب النظم وبديع الترتيب ومحكم الصنع ولطيف التدبير والاتّساق والاتقان فلا يخلو من ثلثة أوجه إمّا انّه لم يزل كما هو وإمّا انّه لم يكن فكان بنفسه وإمّا انّه كوّنه مكوِّنٌ هو غيره فلمّا استحال ان يكون قديمًا لم يزل لمقارنة الحوادث إيّاها وإن لم يخلُ من حادث فحادث مثله واستحال ان يكوّن الشئ نفسَه لاستحالة الكائن أن يبقى نفسه فكيف يجوز توهّم المعدوم من أن يتركّب فيصير عالمًا لم يبقَ غير الوجه الثالث وهو أنّ كوّنه مكوِّنٌ هو غيره غير معدوم ولا محدث وهو

[1] Ms. répété deux fois.

البارئ جلّ جلالـه واعلم ان البارئ عزّ وجلّ ليس بمحسوس فيحصره الحواسّ ولا معلوم بالإحاطة فيدرك كيفيّته وكمّيته وأينيّته ولا مقيّس بنظير لـه أو شبيه فيُعلم بـأكثر الظنّ والحزر ولا موهوم بصورة من الصُوَر لكنّه معروف بدلائـل افعالـه وآيات آثاره موجود فى العقول لا غير ولا تُوجَدُ آثاره وافعالـه إلّا فى خَلْقه ومن الدليل على إثبات البارئ سبحانـه تفاضل الخلق فى الـدرجات والطباع والهمم والإرادات والصُوَر والأخلاق وتمايز الأشخاص والأنواع من أجنـاس الحيوان والنبـات فلو انها مكونـة[1] بالطبـاع لاستوت أحوالها وتكافـأت أسبـابهـا وكانت تكون فى انفسها مختـارة ولما يُوجَد فيها ناقص ولا عاجز ولا مذموم ولا متـأخر عن درجة صاحبه فلمّـا وجدنا الامر بخلافـه علمنا أنّ مدبّرًا دبّره ومرتّبًا رتّبه وهو البارئ سبحانه، وقـد قلنـا فى صدر هذه المقـالـة ان عدد الدلائـل عليـه تعالى وتقـدّس غير محصاة ولا متقصّاة لأنّـك لو عمدتَ الى أصغر شخصٍ من أشخاص الحيوان وأعملتَ فكرك فى تعداد مـا يوجدك من آثـار صُنـع الصانـع فيـه لـرجعت حسيرًا عَيِيـًّا

[1] Ms. مكوّن.

وأعجزتك حُجج البارئ جلّ وعز وحيّرتك آثار صُنعه وذلك في المثل كناظر في بَعُوضةٍ أو نملةٍ [f° 14 r°] أو ذُباب كيف بنى البارئ جلّ وعزّ جسمه في لطفه وصغر أجزائه وكيف أطلق له القوائم والأجنحة وكيف ركّب فيه من الأعضاء ما لو فُرِّقَتْ لما كان الطَرْف يدركها ولا الوهم يمسّها ولا الحاسّة تحدها وكيف ركّب فيه من الطبائع ما تمّ به قوام أركانه واستواء نظامه وكيف أودعه معرفة ما فيه صلاحه من طلب منافعه واجتناب مضارّه وكيف سلك في جوفه مداخل غذائه ومنافذ طعامه مع خفّة جسمه وقلّة ذاته وكيف حمل عليه الأعراض وصبغه بألوان الصبغ وكيف ركّب الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والصوت والصورة وكيف ركّب فيه العين بل كيف ركّب في عينه البصر هذا في صغار هوامّ ما يتولّد وإن كان طبع الزمان علّةً لبثه وإثارته فانه لم يتركب هذا التركيب العجيب والنضيد الأنيق إلّا من تدبير قادر حكيم وكذلك لو نظر الى أدون نبت من النبات وما جُمع فيه من اختلاف ألوانه من نَوْره وورقه وفرقه وجذعه وعرقه واختلاف طعوم أجزائه وروائحها ومنافعها ومضارّها

لدلّ ذلك على تدبير قادر حكيم وكيف لو رجع الى نفسه فنظر الى كمال صورته وحسن هيئته[1] واعتدال بنيته مع ما خُصّ به من الحكمة والعلم والفطنة والبحث والفكرة بلطيف الأمور وجليلها وحذقه بأنواع الصناعات وحسن اهتدائه اليها وخبرته بالأمور الغامضة واستيلائه على جميع الحيوان بفضل عقله وزيادة فطنته ثم هو مع ما وصفناه به من الكمال والتمام مبنى[2] على الضعف والحاجة إلى ما صغير ما فى العالم وكبيره مضمن بالنَصَب والتعب عاجز عن دفع ما يحلّ به من الآفات جاهل بأسباب كونه وتصرّفه فى نشوه ونمائه وزيادته ونقصانه محتاج الى ما يقيمه ويبنيه لدلّه ذلك على تدبير قادر حكيم وكذلك إذا نظر إلى هذا العالم وما يرى فيه من شواهد التدبير وآثار التركيب فى الهيئة والشكل والصُوَر مع اتّصال بعضه فى بعض وحاجة بعضه إلى بعض من اعتقاب الحرّ والبرد واختلاف الليل والنهار واتّفاق الأركان وتقاومها على تضادّها وتباينها علم أنّه من تدبير

[1] Ms. هيأته.

[2] Ms. مبنى.

قـادر حكيم ولو جاز لمتوهّم ان يتوهّم حدوث هذا العالم من
غير محدث لجاز لغيره أن يتوهّم وجود بنآء من غير بانٍ وكتابةٍ
من غير كاتب ونقش من غير نقّـاش وصورةٍ من غير مصوّر
ولساغ لـه إذا نظر الى قصر مشيّد وبنآء وثيق أن يظنّ أنّـه
انساب إلى كومة من الترب مجتمعة لم يجمعها جامعٌ فـاختلط
بها من غير خالط حتّى التفّت ونـديت ثم انسبكت لبنًا على
اكمـل التقـدير وآانق الترببـع من غير سابق ولا ضارب ثم
تـأسّس أساس القصر وتمكّنت قواعده وارتفعت ساقـاتـه
وأعراقـه حتّى إذا تطـاولت حيطـانـه وتكاملت اركانـه
وتطايرت اللبن وتراكمت على حواشيها وتناضدت أحسن التراكم
والتناضد ثم تساقطت الجذوع والجوائز من أشجارها على قـدر
البيوت والخطط والمختطّة للأبنية بلا حاصد لها ولا عاضد ثم
انجرت بـلا ناجر [f° 14 v°] وانتشرت بـلا ناشر واستفنت بـلا
سافن فلما تهيّأ منـه الكمال واستقـام المائـل ترفّعت بـأنفسها
فـانغرزت فى مغارزها وتسقفت فوق بيـوتها وفـاقت أساطينها
تحتها ثم انطبقت عليها صفائحها وانتصبت أبوابها فـانغلقت
بذاتها ثم تكلّس القصر وتسيّع وتبلّط وتجصّص وتنقّش بـأنواع

التزاويق والنقوش واستوى أمره وشاد بناؤه واجتمع متفرقه على أحسن التقدير وأكمل التدبير حتّى لا تعرّى منه ناحية ولا لبنة ولا قصبة إلّا ومفهوم للناظر إليه موضع الحكمة والحاجة إليه من غير فاعل فعله ولا صانع صنعه ولا ساعٍ سعى فيه ولا مدبّر دبّره وكذلك[1] لو نظر الى سفينة مشحونة موقَّرة بألوان الحمولات وأصناف السِلَع راكدة فى لُجّة البحر او سائرة انها تركّبت ألواحها وأعضادها وتسمّرت مساميرها ودُسُرها وانضمّت حتّى اسقنت بذاتها ثم نقلت الحمولة إلى نفسها حتّى امتلأت ثم ركدت فى الماء فسافرت عند الحاجة وكذلك لو نظر الى ثوب منسوج او ديباج منقوش انه انحلج قطنه وخلص قزّه ثم انغزل وانفتل وانصبغ والتأمت الوشائع[2] وامتدّت الاشراع والتفّت الى منوالها وانضمّت الخيوط بعضها الى بعض فانتسج وانتقش فاذا لم يُجِزْ هذا المتوهّم فكيف يتوهّمه على هذا العالم العجيب النظم الباهر التركيب فان ذهبَ ذاهبٌ إلى الفرق بين تركيب العالم وتركيب

[1] Ms. وذلك.

[2] Ms. الوسائغ.

ما يركّبه الإنسان بأنّ العادة لم تجوّز بابتناء الدور وانتساج الأثواب وانصباغ الأوانى ولم يوجد مثل ذلك فى الامتحان والطبائع قيل فكيف جوّزتم ما هو أعجب ممّا ذكرنا واعظم من غير فاعل مختار ولا حكيم قادر فإن زعم أنّ تركيب هذا العالم على هذا النظم ولتركيب[1] من فعل الطبائع فالطبائع إذًا احيآء قادرة حكيمة عالمة ولم يبقَ بيننا وبينه من الخلاف الى تحويل الاسم وتغيير الصفة وإن انكر حياة الطبيعة وحكمتها وقدرتها فكيف يجوز وجود فعل محكم متقن من غير حكيم حيّ قادر فإن زعم بالجدّ والاتّفاق على هذا الاتّساق غيرُ موهوم وإنّما وقوعه فى النوادر ولوجاز ذلك لجاز أن من له ساحة ولا بنآء فيها ولا عمارة يتّفق اتّفاق ليلة فتُصبح مبنيّةً دورًا مغروسة اشجارًا على احسن الابنية واعجب التركيب ولا محيص للملحد من حجج الله وآياته فكيف وهو حجّة بنفسه ولغيره وليس نورد من هذا الباب هاهنا الّا ما يضاهى الفصل وما يصحّ ويجلّ دون ما يغمض ويدقّ لانّ من عزمنا أن نبالغ فى الاستقصآء والايضاح لهذه المسائل فى كتاب

[1] Ms. والتى بت.

سميّناه بالديانـة والامانـة شكرًا لمن أنعم علينا بالتوحيد ومناضلةً عن الدين وتبصّرًا للمستبصرين ومن عند الله التوفيق ، واعلم انّـه لوجاز أنْ يُوجَد شئٌ من الأجسام لا من خلق اللّه لجاز أن يوجَد عاريًا من دلالـة عليه.فـإذا لم يوجد الّا من خلقه لم يخلُ من دلالـة عليـهٔ فـإن قيـل وكيف يعلم أنّـه مصنوع مخلوق قيل بـآثار الحدث فيه فـإن قيل فما آثار الحدث قيل الأعراض التى لا تعرى الجواهر منها من الاجتماع والافتراق والحركة والسكون واللون والطعم والرائحة وغير ذلـك فـإن انكر الأعراض وحدوثها كُلّم بما ذكرناه فى موضعه [f° 15 r°] من الفصل الأوّل فبحـدوث الأعـراض يصحّ حـدوث الأجسام وبحـدوث الأجسام يصح وجود المحدث البـارئ لها سبحانـه ولقد قرأتُ فى بعض كتب القدمآء ان ملكا من ملوكهم سأل حكيمًا من الحكمآء ما أدلُّ الأُمور على الله فقال له الدلائل كثيرة وأوّلها مسئلتك[1] عنه لأنّ السؤال لا يقع على لا شيء قـال الملـك ثم مـا ذا قـال شكّ الشاكّين فيه فـانّما يُشكّ فيما هو لا فيما لا هو قـال الملك ثم ما ذا قـال ولـه

[1] Ms. مَسْالتك.

الفطن[1] اليه الذى لا يستطيع الامتناع منه قال الملك زدنى قال حدوث الأشيآء وتنقّلها على غير مشيّتها قال زدنى قال الحياة والموت الّذان يسمّيهما الفلاسفة النشوْ والبِلَى فلستَ واجدًا احدًا أحيا نفسه ولا حيًّا الّا كارهًا للموت ولن ينل[2] منهم يعنى لا ينجو قال زدنى قال الثواب والعقاب على الحسنة والسيئة الجاريان على ألسنة الناس قال زدنى قال أَجِدُ مزيدًا، وجآء فى الأخبار ان بنى اسرائيل اختلفوا فى هذا الباب ففزعوا الى عالم فسألوه بِمَ عرفت البارئ قال بفسخ العزم ونقض الهمّة وكُتُب اللّه المنزّلة مملوّة بدلائل الاثبات والتوحيد تأكيدًا للحجّة لأنّه موضوع فى نفس الفطرة وخاصّةً القرآن وقال اللّه لرسوله حيث سُئِل عن الدلالة عليه إنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمٰوَاتِ والأرض واختلاف الليل والنهار والفُلْك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل اللّه من السمآء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرياح والسحاب المُسخَّر .

[1] Ms. النطر.

[2] Ms. ل.

بين السمآء والارض لآيات لقوم يعقلون[1] فدلّ على نفسه بخواص أفعاله ومعجزات آثاره التى لا سعى لغيره فى شئ منها وقال ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين ثمّ جعلناه نطفةً فى قرارٍ مكين[2] الى قوله فَتَبَارَكَ ٱللّٰهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ[3] هل ترى أحدًا يدّعى فعل شئ من ذلك وقال أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ والأرض وأنزلَ لكم مِنَ السَّماء مَاء فانبتنا به حدائقَ ذاتَ بَهْجةٍ ما كان لكم أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرها أَإِلٰهٌ مع ٱللّٰهِ بَلْ هُمْ قومٌ يَعدِلُون، أَمَّنْ جعلَ الأَرضَ قرَارًا وجعلَ خِلالَها أنهارًا وجعل لها رواسِيَ وجعل بَيْنَ البحرَيْنِ حاجزًا أَإِلٰهٌ مع اللّٰه[4] الى آخر الآى الخمس وقوله أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُون، أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحنُ ٱلْخَالِقُونَ[5]، دلّهم على نفسه بصُنعه باعجازهم فى آخر الآيات فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[6] وتكلّف غير ما

[1] *Qor.*, sour. II, v. 159.

[2] *Qor.*, XXIII, v. 12-13.

[3] *Ibid.*, v. 14.

[4] *Qor.*, XXVII, v. 61 et suiv.

[5] *Qor.*, sour. LVI, v. 58-59.

[6] *Ibid.*, v. 85-86.

فى كتاب الله فضل لانّه معرض ممكن لمن تدبّره وتأمّله وقال وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ[1] انكم توجدوها ولم تحدثوها ولستم تملكون شيئًا من أمرها من الصحّة والسقم والشباب وقال سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ[2] يعنى بما ضمّنها من آثار الصنع وشواهد التدبير ودلائل الحدث ورُوينا فى حديث أنّ رجلًا سأل محمّد بن علىّ او ابنه جعفر بن محمّد يا أبن رسول الله هل رأيت ربّك حين عبدته فقال ماكنتُ لا أعبدُ ربًّا لم أره فقال الرجل وكيف رأيته قال لمْ[3] تَرَه العيون بمشاهدة العيان ولكن رأتْه القلوب بحقائق الايمان لا يدرك بالحواسّ ولا يقاس بالقياس[4] معروف بالدلالات موصوف بالصفات له الخلق والأمر يُعزّ بالحقّ ويُذلّ [f° 15 v°] بالعدل وهو على كلّ شىْء قدير وسُئل علىّ بن الحسين رضى الله عنهما متى كان ربّك قال ومتى لم يكن ربّنا وحكى عن بعض

[1] *Qor.*, LI, v. 21.

[2] *Qor.*, XLI, v. 53.

[3] Ms. ألم.

[4] Ms. بالناس.

الحكمآء أنّه كان يقصّر[1] الناس على هذا القدر من التوحيد ولم يرخص لهم الخوض فى اكثر منه فيقول التوحيد أربعة أشيآء معرفة الوحدانيّة والإقرار بالربوبيّة وإخلاص الالهيّة والاجتهاد فى العبوديّة وكانت حكماء العرب فى كفرها وجاهليّتها يُشيرون اليه فى أشعارهم ويمدحونه بآلآئه ونعمائه فمن ذلك قول زيد بن عمرو بن نفيل [طويل]

وَأَنتَ الّذى من فضل منٍّ ورحمةٍ بعثْتَ الى مُوسَى رسولًا مناديا

فقلتَ له فاْذهب وهارونَ فادعو إلى الله فرعون ٱلّذى كان طاغيا

وَقُولا له أأنت سمكتَ هذه بلا عَمَدٍ حتّى أستقرّت كما هيا

وقُولا له أأنت سوّيتَ هذه بلا وَتَدٍ حتّى أسقرّت كما هيا

وقُولا له مَنْ يُرسِل الشّمس غُدوةً فتصبح ما مسّت من الأرض صاحيا

وقُولا له من ينبت الحبّ والثرى فتصبح منه البقل يهتزّ راسيا

وكان يقول [متقارب]

وأسْلمتُ وجهى لمن اسلمَتْ له الارض يحمل صخرًا ثقالا

[1] Ms. يقصير.

دحاها فلمّا رآها أستوَتْ   على المآء أرسى عليها الجبالا

وأسلمتُ وجهى لمن اسلمَتْ   له المُزنُ تحمل عذبا زلالا

إذا هى سُوقت الى بلـدةٍ   اطاعت فصبّت عليها سجالا

فجمل يصفه بالصفات الّتى يُعجَز عنها المخلوقون معرفـةً منـه بـاستحالـة فعـل لا من فـاعل وأذكرُ أنّى سألتُ بعضَ الأعاجم بنواحى سنجار على نواحى المُرَاح والمهازلـة إذ كنت أراه جلف الجثّة ثقيل اللهجة ما الدليل على أنّ لـك خالقًا قـال عجزى عن خلق نفسى فكانّما ألقمتُ حجرًا وما شبّهتُه إلّا بخبر عامر بن عبد قيس إذ خرج عليه عثمان بن عفّان رضى الله عنه وهو فى شملـة اشعث اغبر فى زىّ الأعاريب فـقـال أين ربّـك يا اعرابى قـال بالمرصاد فهال ذلـك عثمان فـارعد لـه ومن ذلـك قـول صرمـة بن انس بن قيس قـبـل الإسلام   [خفيف]

ولـه الراهبُ الحبيس تراه   رَهْن يُونُيس وكان ناعم بال

ولـه هوّدت يهودُ وكانت   كلّ دين وكلّ أمر عُضال

وله شمّس النصارى وقاموا   كلّ عيدٍ لهم وكلّ احتفال

وله الوَحْشُ فى الجبال تراه   فى حِقاف وفى ظِلال الرمال

[f° 16 r°] يعنى أنّ من مخافتـه هُوِّدت اليهود وحبست الرهبان أنفسها فى الصوامع ومن دلائله عرفت الوحوش منـافعهـا ومناكحها وليست بـذات عقول مميزّة وإنّما يعرفـه كلّ واحد بمقـدار فهمه وكيفيّـة استـدلالـه وانشدنى النهريبنـدى فى جامع البصرة [طويل]

وَلَوْ حَلَّ اقطارَ السماوات عاقلٌ   أو احتَلَّ فى أقْصَى بلادٍ تُباعِدُ

ولم يرَ مخلوقًا يدُلّ على هُدًى   ولم يَأْتِهِ وَحْىٌ من الله قاصِدُ

ولم يرَ إلّا نفسَهُ كان خَلْقُها   دليلًا على بـارٍ لـه لا يُعانِدُ

دليلًا على إبـداعها وأختراعها   مُنيرًا على مرّ الدهور يُشاهِدُ

وفى هذا المقدار مقنَعٌ وبـلاغ لمن نَاصَح نفسَه وأعطى النَصفـة وجانب الجحود والعنود ومن لم يجعل اللـه لـه نورًا فما لـه من نورٍ واذا صحّ اثبات البارى ووجود الصانع فلننقُـل الآن فى صفـاتـه

القـول فى جواب من يقـول من هو ومـا هو وكيف هو

أقول ان السؤال عن المائيّة والمنيّة والهويّة محالٌ من وجه التفتيش عن ذاته لأنّ الإشارة الى هذه الاشياء تصوّرها فى الوهم ولا يتصوّر فى الوهم غير محدود أو نظير محسوس وهذه من صفات الحدث فإمّا أن اراد السؤال عن إثباته واثبات صفاته فلا وذلك كقائل يزعم أنه قد ثبت عندى وجود البارئ سبحانه فما هو فالجواب الصواب انه هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن القديم الخالق حتّى يُعدّ جميع أسمآئه وصفاته فإن زعم انه سأل عن هويّة ذاته قيل غير محسوسة ولا موهومة ولا معلومة بالإدراك والإحاطة فإن زعم ان هذا من صفاته اللّاشيّة والبطلان فهذا من وساوس الجهل وهذيان الخطل ويكلّم فى ايجاب الصنعةِ الصانعَ والفعلِ الفاعلَ بما قد سبق ذكره فان طلب نظيرًا أو شبيهًا بهذه الصفات فهذا يكلّفنا ان نتّخذ إلٰهَيْن[1] اثنين محسوسًا وغير محسوس ثمّ نشبّه الغائب بالشاهد ليتحقّقه وما من إلٰهٍ إلّا إلٰهٌ واحدٌ وليس يجب علم ما تيقّنّاه لجهل ما جهلنا ألا ترى أنّا اذا آنسنا شخصًا فى السواد ولم نعلم ما هو ومن هو لم يجب ان

[1] Ms. الاهين.

نُبطِل علمنا فى ذات الشخص بما خفى علينا من بعض هيئاته كذلك لمّا قامت الدلالة ان يستحيل وجود فعل لا من فاعل ثم وجدنا فعلًا لم نشاهد فاعله لم يجب ان نُبطل علمنا البديهىّ بجهلنا وقد سُئل رسول الله صلعم عن هويّته فنزل الجواب فى صفاته قُلْ هُوَ الله أحد ٱللّٰهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفوًا أحد[1] فأخبر انّه أحد لا كأحدٍ وصَمَد لا كصمد لم يلد ولم يولد يعنى الملائكة وسائر الناس من الخلائق الروحانيّين بقوله ولم يكن له كفوًا أحد فنفى النظير والشبيه عنه وقال الرسول عليه السلم فيما رُوِىَ لرجل من الاعراب سأله عنه هو الذى اذا مسّك ضرٌّ فدعوتَه أجابك واذا اصابتك سنةٌ فدعوتَه امطر السحاب وانبت النبات [f° 16 v°] واذا ضلّتْ راحلتُك بفلاةٍ من الارض فدعوتَه ردّها اليك فجعل يدلّ على ربّه بدلالة فعله وشهادة الكتاب تُغْنِي[2] عن طلب الأسانيد لمثل هذه الاخبار بقول اللّه تعالى امّن يجيب المضطرّ اذا دعاه ويكشف

[1] *Qor.*, sour. CXII.

[2] Ms. يغنى.

السوء[1] وفى روايـة المقبرىّ عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلعم [قال] انّ الشيطان يأتى أحدكم فلا يزال يقول له مَنْ خَلَقَ هذا فتقول الله حتّى يقول فمن خلق اللّهَ فـاذا سمعتم ذلـك فـافزعوا الى سورة الإخلاص فـقـال ابو هريرة رضى الله عنه فبينا انا قـاعد إذ أتانى آتٍ فـقـال مَن خلق السمآء فقلت اللّه قال فمن خلق الأرض قلتُ الله قال فمن خلق الخلق قلتُ الله قال فمن خلق الله فقُمْتُ وقلت صدقَ رسول اللّه صلعم قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كفوًا احد ولهذا نهى عن التفكّر فيـه إذ لا مَطْلَع للوهم والفكر عليـه من طلب ما لا سبيل اليـه رجع باحد الامرَين إمّا شاكًّا وإمّا جاحدًا والجحود والشكّ فيـه كُفر

وقد قيل تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق لأنّ الخلق يدلّ عليه والخالق لا يُدْرَك ولا أعلمُ أحدًا من أصناف الخلـق والأمم إلّا وهو مُقِرّ بوجود شئ فى الغـائب خلاف الحاضر فمن ذلـك قول الفلاسفة الهيولى وانـه خلاف الاجرام العُلويّـة والسُّفليّـة ومنهم من يقول بحىّ ناطق لايجوز عليـه

[1] *Qor.*, sour. XXVII, v. 63.

الموت وهو لم يشاهده حيًّا ناطقًا إلّا ميتًا   ومنهم من قال
بأنّ جوهرَ الافلاك من غير الطبائع الأربع وهو لم يشاهد
شيأ من عين الطبائع ومن قال بمواضع من الأرض يبلغ
طول النهار بها اربعة وعشرين ساعة ومواضع يغيب الشمس عنها
ستّة أشهر وهو لم يشاهدها ومن قال بأنّ النطفة تنقلب
علقةً والعلقة تنقلب مُضغةً ولم يشاهدها عيانًا ومن قال
بأرض لا يتركّب منها حيوان ولانبات ومن قال من
الثنويّة بنور خالص فى الغائب وظلمة خالصة غير مماسَّيْن
ولا ممتزجَيْن وهو لم يشاهد جسمًا إلّا مؤلّفًا مركّبًا فى أشباهٍ
لهذا يطول الكلام بذكرها حتّى تعلم ان قول القائل
لا شئ غير ما يعانيه[1] ولا شئ غاب عنه الّا كما يشاهده محال
باطل وبعدُ فانّا نجدُ الحركة والسكون والاجتماع والافتراق
والفرَح والحُزْن واللذّة والكراهية والحبّ والبُغض وغير
ذلك من كثير من الاعراض ولا يمكن صفتها بطول ولا لون
ولا عَرْضٍ ولا ريح ولا طعم او صفة من الصفات ثمّ لم يجب
ابطالها لعدم صفاتها وكذلك العقل والفهم والنفس والروح

[1] Ms. يعانيه.

والنـوم لا شكّ أنّهـا اشيـآء ثـابتـة ولها ذوات قـائمـة من الاعراض ثم لا يُحاط بكميتها ولا بكيفيتها غير وجودها فـاذا كانت هذه الاشيآء قُربها منّـا وتمكّنها فينا ونعجز عن الاحاطة بها ولم يجز انكارها لوجوهها وكيف بمُبْدِعها ومُنْشئها ومُقيمها على مراتبها وكلّ صانع لا شكّ أعلى رُتبةً من مصنوعاتـه وأرفع درجةً فـان قـال قـائـل سَوَّيْتَ بين صفـات العقل والروح والنفس وسائر ما ذكرت وبين البـارئ الـذى يـدعونـا اليـه وتساوى الصفـات يـوجب تساوى الموصوفـات فما ينكر ممّن يزعم انـه هو النفس أو العقـل لا من النـاس من يقول هو نفس [f° 17 r°] الخلائق ومنهم من يقول هو عقولهم قيـل انّمـا يجب تساوى الموصوفـات إذا تساوت حدود الصفـات فـأمّا الألفاظ فشتركـة والمعانى مختلفـة ألا ترى انّـا نقول لـه هو ولغيره هو ونقـول هو واحد ولغيره ممّا يتـمّيز من الأعداد واحد ونقول ذاتـه ولغيره من الحيـوان والنبـات ذواتها ونقول قال الله وفعل الله فقال فلان وفعل فلان لأنّ الألفاظ سِمَاتٌ للمعانى لا يمكن العبارة الّا بها فـاذا جِئْنـا الى التفصيل قلنا فِعْلُ الإنسان بجارحةٍ وفِعْله ليس بجارحة وفِعْل

الانسان بـآلـةٍ وفِعْله ليس بـآلـةٍ وفعل الانسان فى زمان ومكان وفعل اللّه قبل الزمـان والمكان فهَلْ بقى بين الفعلَيْن من التشابُـه غير سمة اللفظ وهكـذا سائر الأوصاف

ثمّ من الدلائل على أنّ البارئ جلّ جلاله ليس بالنفس ولا بـالعقل ولا بـالروح كما ذهب اليه من ذهب ان الأنفس متجزّئـة قد فرّقت بينها الهياكل والاشخاص والتجزّئ تفرّق والتفرّق عارض ولا متفرّق الّا ومتوهّم تجمّعه والتجمّع عارض وقـد يعيش عائش ويموت مـائت ولا يخلو[1] من ان تبطل نفسٌ بموت صاحبها أو ترجع الى كلّيتها او تنتقـل الى غيره والبطلان والرجوع كلّها اعراض وقـد أوضحنا الدلالـة على حدث الاعـراض وهكذا القـول فى الأرواح على السوآء وكذلك تفاوُت العقول واختلافها ومـا يَعرِضُ فيها من الخلل والنقص والسهو والغلط كلّها من دليل الحدث ومـا العقل فى قصور المعرفة إلّا بمنزلة سَمْع الأُذن وبصر العين وشمّ الأنف كلّها موجودة غير معلومة الكيفيّـة والكميّـة فـان قيـل ألـهُ هُويّـة وإن لم نعلمها قيـل الهويّـه إضافـة هو الى

[1] Ms. يحلى.

معناه[1] وهو اشارة فـامّا معنى الهويّـة فالذات واى لعمرى لـه
ذات عالمة سميعة بصيرة قـادرة حـيّة غير معلومة كيفيّتها فـإن
قيل فهو عالم بذاتـه قيل له ليس هو غير ذاته فتكون معلومة له
غير علمه ويكون لـه من ذاتـه علم ومعلوم وقد قـال قوم
انـه هو الطبائع ومنه حَدَثُ العالم وتركّبه فـالطبائع أشيآء
متنافرة متضادّة مقهورة مجبورة وهذه هى علامات الحدث ثمّ
هى غير حيّـة ولا عالمة ولا مختـارة ولا قـادرة فيصحّ منها
هذه الافعـال المحكمة المُتْقَنَـة فـان أطلقـوا عليها هذه
الصفـات فهى البـارئ بزعمهم وإنّما غلطوا فى التسمية وإن أبَوْا
فى الفعـل لا يصحّ إلّا ممّن هذه صفاتُـه واختلف أهل
الإسلام فى اشيآء من هذا الباب فـأنكر كثير منهم القول
بـالأينيّـة والمائيّـة ولا يخلوان من أن يكونا ايـاه أو غيره أو
بعضه فـإن كانـا غيره أو بعضه انتقض التوحيـد وان كانـا
ايّـاه فهو اذًا أشيآء كثيرة وقـال ضرار بن عمرو وابو حنيفـة
رضى اللّـه عنهما لـه أينيّـة ومائيّـة لانّـه لا يكون شئ
موجود إلّا ولـه أينيّـة ومـائيّـة وعلّـة الأينيـة غير علّـة

[1] Corr. marg., ms. معناها.

المائيّة وذلك انك تسمع الصوت فتعلم أنّ له مُصوِّتا وتجهل ما هو ثمّ تراه بعد ذلك فتعلم ما هو فعِلْمُك ما هو غير علمك بأينيّته ومعنى المائيّة عندهما انه يعلم نفسَه بالمشاهدة لا بدليل كما نعلمه واختلف المُشبِّهة فزعمت النصارى انه جوهر قديم وزعم هشام بن الحكم وابو جعفر الأحول الملقَّب بشيطان الطاق انه جسم محدود متناهٍ وقال هشام هو جسم مُصْمَتٌ له قدر من الاقدار من العَرْض كأنه [f° 17 v°] سبيكة تلألأ كالدُرّة من جميع اطرافها واحدة ليس بمجوَّف ولا متخلخل وحُكي عن مُقاتل انه قال على صورة إنسان لحمٍ ودمٍ وسُئل هشام كيف معبودُك فأوقد سراجًا وقال هكذا إلّا أنّه لا ذُبالة له وقال قومٌ جسم فضآء مكان الاشيآء كلّها واكبر من كلّ شئ وقال قومٌ هو الشمس بعينها وزعم قومٌ انّه المسيح وقال قومٌ هو على بن ابى طالب وذهب قومٌ إلى اشيآء كثيرة متبعّضة مختلفة القُوَى والفعل إلّا انّ بعضها مُتّصل ببعض وبعضها أعلى من بعض فأعلاها البارئ سبحانه ويزعمون انه لا جسم له ولا صفة ولا يُعرف ولا يُعلم ولا يجوز أن يُذكَر ودونه العقل

ودون العقل النفس ودون النفس الهيولى ودون الهيولى الأثير ثم الطبائع ويرون كلّ حركة او قوّة حسّاسة أو نامية منه وسيمرّ بك النقض عليهم مجملًا فى باب التوحيد ان شاء اللّه وأحسنُ ما أختاره فى هذا الفصل ألّا يخوض الإنسان فى شئ منه إلّا باثبات الذات بدلائل الصفات فامّا ما سِوَى ذلك فيسكت عنه وليقتَدِ نبىّ اللّه موسى حيثُ قال له الكافر وما ربّ العالمين قال ربّ السموات والأرض وما بينهما ان كنتم مُوقنين[1] هذا طريق السلامة فإن سأل بعضُ مَنْ لا يعلم كيف هو وأين هو وكم هو فإنّ كيف يوجب التشبيه ولا شبه له وكم استخبار عن العدد وهو واحد واين طلب المكان وليس بجسم فيُشغِل الأماكن ،

القول فى أنّ البارئ واحد لا غير أقولُ أنّه لما صحّ وجود البارئ بالدلائل العقليّة وجب ان يُنظر أواحدٌ هو أم أكثر لأنّ إلفعل قد يفعله الواحد والاثنان وقد يشترك الجماعة فى بناء دار ورفع منار ونظرنا فاذا الدلائل على وحدانيّته بإزآء الدلائل على إثباته وذلك أنّه

[1] *Qor.*, **sour. XXVI, v. 22-23.**

لـو كانا اثنَيْن لم يخلُ من أن يكونا متساوِيَيْن فى القوّة والقُدرة والعِلم والإرادة والقِدَم والمشيَّة حتّى لا يُفرق بينهما بصفةٍ من الصفات فإن كانا كذلك فهذه صفة الواحد لا يثبت فى العُقول غيره أو يكون احدُهما أقدمْ من الآخر وأقدر فالإِلٰهُ إذًا القديمُ القادر إذ العاجز الحادث لا يستحقّ الإلهيّة أو يكونا معًا مُتقاومَيْن مُتضادَّيْن فاذَنْ لا يجوز وجود خَلْقٍ ولا أمرٍ لأنّه لو كانا كذلك لم يخلُقْ أحدُهما خَلقًا إلّا أفناه الآخر ولم يُحْيِ حيًّا إلّا أماته الآخر فلمّا وجدنا الامر بخلافه علمنا أنّه واحد قدير وهذا ضِمْنُ قول الله تعالى لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ[1] وقال قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَٱبْتَغَوْا إِلَى ذِى ٱلْعَرْشِ سُبُلًا[2] ولو كانا اثنين لكانا قادرَيْن على التمانع والتقاوم أو عاجزَيْن عن ذلك فإن كانا قادرَيْن لم يتّصل تدبير ولم يتمّ وجود خَلْق وإنْ كانا عاجزَيْن فوجود الخَلْق عن العاجز

[1] *Qor.*, sour. XXI, v. 22.

[2] *Qor.*, sour. XVII, v. 44. Lisez سبيلًا.

مُحالٌ أو كان أحدهما عاجزًا والآخَر قادرًا فهو كما قلناه آنِفًا ولو جاز القول باثنين لوجود الشئ وضدّه لجاز القول بعدد اعيان الموجودات لاختلاف أجناسها وأنواعها وانّها تمام القُدرة جوازها على الشئ وضدّه فـفاعل الشئ اذا كان عاجزًا عن ضدّه غير كامل القُدرة والبارئ عزّ وجلّ دلّ على كمال قُدرته بإيجاد الشئ وضدّه ومن هاهنا تفرّقت المجوس والثنويّة والدّهرية وسائر فِرق الضلالة فزعمت المجوس بأنّ فاعل الخير لا يفعل الشرّ وأنّ الشرّير لا يفعل الخير لأنّ الجنس الواحد لا يَقَعُ منه إلّا الفعل الواحد كالنّار لا يكون منها إلّا التسخين والثلج لا يكون منه إلّا التبريد [f° 18 r°] فسمّوا الإله الخيّر هرمز والشرّير الخبيث آهرمَن وأضافوا كلّ حُسْنٍ وجميل وفعل حميد الى الخيّر[1] وكلّ قبيح وذميم الى الشرّير الخبيث المضادّ له ثمّ اختلفوا بعد إجماعهم على انّ الخير منهما قديم لم يزل وزعم بعضهم ان الشرّير قديم أيضًا كقول الثنويّة بقدم الكونين من النور والظلمة وزعمت طائفةٌ أخرى انّه حادث ثم اختلف الذين قالوا بحدوث الشرير الخبيث كيف

[1] Ms. الخيّر.

كان حدوثه فزعمت فرقة منهم أنّ القديم الخير تفكّر فكرةً ردئة فاسدة فحدث من فكرته هذا الخبيث الشرير وهذا نقض أصلهم بأنّ جوهر القديم جوهرٌ خير لا يشوبه شئٌ من الشرور والآفات وزعم آخرون أنّ الخير هفا هَفوةً فحدث منه هذا الضدّ بلا إرادةٍ منه ولا مشيّة فجعلوا الخير كالمنود الجاهل الذى لا يملك نفسه وأمره وقد أقرّ هذان الصنفان بوقوع الشرّ من الخير المحمود ووجود جنسَيْن مختلفَيْن منه فما حاجتهما الى إثبات فاعلَيْن مختلفَيْن فإذا جاز وقوع الشرّ من هذا الخير المحمود فما يؤمنهم وقوع الخير من هذا الشرّير المذموم وزعمت فرقة ثالثة منهم انه لا يدرى كيف حدث هذا الشرير المنازع[1] للخير القديم فافصحوا بالحَيْرة ونادَوْا على انفسهم بالشبهة وبِمَ ينفصلون ممّن يعارضهم إذا جاز حدوث شرير فاعل للشرّ لِمَ لَمْ يجُزْ حدوث خير فاعل للخير حتّى يكون خالقهم اثنين حادثَيْن وقد زعموا جميعًا أنّ هذا الشرير كايدَ الخير ونازعه الأمر وجمع الخير جنوده من النور والشرير جنوده من أبعاض الظلمة فاقتتلا مدّةً من

[1] Ms. والمنازع.

الـدهر طويلـة ثم توسّطت المـلائـكة بينهما ودعَـوْهما الى الهُدْنة والموادعة الى ان يضع بينهما مدّة سبعة آلاف سنة وهى مدّة قوام العالم فـاصطلحا على أنْ يكون أكثر الأمر والحكم والغلبة فى هذه المدّة المضروبـة للجوهر الشرّير فـإذا انقضت المدّة افضى الأمر الى القديم الخير فـأخذ الشرير يستوثق منه إلى أن ينقضى عالم الشرّ والفتنـة والفساد ويصير الحكم الى الخير المحض وهذا ظـاهر الانتقـاض والاختـلاف وكيف تطمئنّ النفس الى عبـادة عاجز مغـلوب على أمر وكيف يؤمن الشريـر الخبيث على الوفـآء بـالعهود والمواثيق وهل هى منه الّا أفضل الخير واتمّ الاحسان فقـد وُجد من جوهره الخير وهو من غير جنسه كما وُجد من جوهر الخير العجز والغلبة وهو شرّ وليس من جنسه واختلفت الثنويّـة فزعم مانى وابن ابى العوجآء انّ النور خالـق الخير والظلمة خالـق الشرّ وأنّهما قديمان حيّان حسّاسان وأنّ فعلهما فى الخلق اجتماعهما وامتزاجهما بعد أن لم يكونـا ممتزجَيْن فحدث هذا العالم من نفس الامتزاج فـأقرّا بحادث حدث فى القديم من غير سبب أوجبه ولا إرادة منـه فضاهيا المجوس فى قولهم أنّ الخير حدث منـه الشرّ بـلا

إرادة منــه ولا مشيَّــة وزعم ديصان ان النور حيٌّ والظلمــة مواتٌ فـأحال أشدّ الإحالـة إذْ أجاز من الموات الفعـل فى خلـق الشرور والآفـات فناقضوا بـأجمعهم فى نفس الامتزاج لانّـه لو كان بدأبـه النور فقــد أساءَ فى مخـالطـة الظـلام وان كان بدوه من الظـلام فقد غلب النور وأفسده وعندهم أن النور لا يكون منه الّا الخير والظلمة لا يكون منها[1] الّا الشرّ فكلّ خير منسوب الى النور وكلّ شرّ منسوب الى الظلمة واكتفى من جوابهم بما يومض عن مناقضاتهم كفاءَ مـا يشاكل [f° 18 v°] كتابنـا هذا بعد أن نستقصيه فى كتاب المعدلـة ونُشبع القول فيه بمشيَّـة اللّـه وقـد سألهم جعفر بن حَرْب عن مسئلـة قليلـة الحروف عظيمة الخطَر فـقـال لهم أخبرونـا عن رجُل قتـل رجـلًا ظُلمًا فسُئـل أقتلتَـهُ قـال نعم من القـائـل نعم قـالوا النور قـال فقد كذب النور والنور عندكم لا يفعل الشرّ قـالوا فهو الظلمة قـال فقد صدقت والظلمة لا تفعل الخير وقـال هل اعتــذر أحدٌ من شىء قطّ قـالوا نعم والاعتـذار حَسَن جميـل قـال فمن المُعتـذر قـالوا

[1] Ms. منه.

النور قال فصنع شيأ يجب الاعتذار منه قالوا فالظلمة قال فقد احسنَتْ اذا اعتذرَتْ فقطعهم   واستعظم قومٌ القول بايجاد أعيان لا من سابق فقالوا بقدم البارئ وشئ قديم معه أمّ الأشياء وآخر الهويّات ومادّة العالم والأصل الذى حدثت منه الأجسام والاشخاص فانّه جوهر بسيط عارٍ من الأعراض ثم احدث الصانع فيه أعراضًا من الحركة والسكون والاجتماع والافتراق فتركّب من حركاته العالم بأجزآئه فهولآء قد أوجبوا شيئين قديمين مختلفين الى الذات والصفة احدهما حىّ والآخر ميت ودخلوا فى مذاهب الثنويّة وناقضوا أصلهم بأنّ البارئ لم يزل يصنع فيه فابطلوا قولهم بأنّه علّة والعلّة لا تفارق المعلول وجملة القول فى الاعتقاد فى المعدوم والموجود أنّ الموجود ما يُعقل أو يعلم أو يحسّ أو يُعرف أو يصحّ منه تأثير أو فيه أو معه أو به فاذا خلا من هذه المعانى فهو المعدوم ولولا ذلك لكان كيف يعتقد المعتقد المعدوم من الموجود فان قيل فقد اعتقدتم القديم أفعدم هو وانتم لا تصفونه بشئ من الحدوث والأعراض قيل افتُسوّونَ انتم بينه وبين الهيولى فى المعنى أم لا وانتم لا تصفونها بشئ من

الحدود والأعراض ونحن انّما نعتقد وجود البارئ بدلائل صُنعه وآثاره وليس يصحّ الهيولى اثر ويوجب اعتقاده موجودًا بل لو وصفتموه بافعال خاصيّة وجب اعتقاده وسنزيد ايضاحًا لهذه المسئلة فى فصل ابتدآء الخلق ان شاء اللّه تعالى ،

القول بابطال التشبيه اقول أنّ التشبيه يوجب الاتفاق فى الحكم والمعنى على قدر الواقع من الاشتباه وذلك يزعم أن حدّ الجسم انه طويل عريض عميق يلزمه ان يقتضى على كلّ ذي طولٍ وعرضٍ وعُمقٍ بالتجسيم لأنّ الاشتباه بينهما واقع فى جميع الوجوه فاذا قال جسم لا كالاجسام وأراد أن يبطل الحدود المضروبة فيه فكأنّه يقول جسم لا جسم ويلزمه أن يحكم على كلّ ذى طول بحدّ من حدود الجسم لأنّه من حيث استحقّ بعض أوصافه استحقّ الحكومة به كما أنّه إذا حدّ العرض بأنه لا يقوم بنفسه لزمه القول بأنّ كلّ ما لا يقوم بنفسه فهو عرض فان قيل أليس قلتم انه شئ لا كالاشيآء فما تنكرون من يقول انه جسم لا كالاجسام أو له وجهٌ لا كالوجوه وجارحة لا كالجوارح فانّ الشئ اسم عامّ

للموجود والمعدوم والقديم والمُحْدَث وحدُه ما قد ذكرناه فى موضعه فاذا سمع السامع به لم يذهب به الى جسم دون عرض ولا الى قديم دون مُحدَث حتى يفرق به الى التفسير ما يدلّ [f° 19 r°] على المراد فاذا سمع بالجسم لم يعقل منه الّا المؤلّف المركّب فلذلك لم يُجزْ إطلاق اسمآء المُحْدَثات عليه لأنّ استوآء أحكام المِثلين من حيث تماثلا وإلى هذا المعنى ذهب الناشى فى قوله [بسيط]

لو كان للّه شِبْهٌ من خليقته كانت دلائله من خَلقه فيه

قد كان مُقتضياً من نشو صانعه ما يقتضى النشو من آثار ناشيه

لكنّه جلّ عن أوهام واصفه فالحس يُعدِمُه والعَقْلُ يُبْديه

الفصل الثالث

فى صفاتـه واسمآئـه وكيف يجب أن يُعْتَقَد القول والفعل منه سبحانـه

أقول أنّـه إذا ثبت وجود البارئ عزّ وجلّ وثبتت وحدانيّتـه بـالدلائـل التى قـامت وجب أنْ يُنظر فى صفاتـه وما يليق بـه أن يضاف اليه ويُعرَف بـه فنظرنـا فـاذا من صفاتـه خاصّ وعامّ فـالخاصّ مـا لا يجوز ان يُـوصَف بضدّه كالحيـاة والعلم والقدرة ولا أن يوصف بـالقـدرة عليها ألا ترى انّـه لا يصحّ القول بـأنّـه يقدر ان يحيا او يقدر ان يعلم او يقدر ان يقدر ولا القول بأنّه يعلم كذا ولا يعلم كذا أو يقدر على كذا ولا يقدر على كذا لأن ما كان موصوفًا بنفسه ثمّ وُصِفَ بضدّها كان الضدّ راجعًا الى نفسه ولا تستقيم الالهيّـة بغير حياة وقـدرة وعلم وهذه تسمّى صفات الـذات والعامّ مـا يجوز ان يُوصَف

بضدّها ويوصف بالقدرة عليها كالإرادة والرزق والخلق والرحمة
وهى صفات الفعل وللمسلمين ومن قبلهم فى هذا الفصل تشاجر
كثير واختلاف يدعو الى ضلال مَنْ خالف صاحبه فى
ذلك فقال بعض الناس لا اسم للبارئ ولا صفة ولا ذكر
وانما ينبغى ان ينسب كلّ عدل ورحمة وفضل وَجُودٍ إليه بمعرفة
القلوب أنه منه وقالت المعتزلة أنّ صفات الله أقوال
وكنايات وهى كلّها من قول القائلين ووصف الواصفين
وقال قومٌ لا معنى لصفات الفعل وانّما المعنى لصفات الذات
والصفة ما قامت فى الموصوف ولا تباينه ولا يجوز أن يُوجَد
الموصوف مع عدمها قالوا فلَمْ يزل اللّه خالقًا بارئًا رازقًا
مريدًا متكلّمًا رحيًا حتى أتَوْا على آخر صفاته وفرّق ناس
منهم بين الوصف والصفة فجعلوا الصفة ما يلاصق الموصوف
كالعرض للجوهر والوصف قول الواصف تلك الصفة فصفات
الله غير مخلوقة لأنّه بها موصوف وهو غير مخلوق وهو
واحد بصفاته كلّها وصفاته لا هو ولا بعضه ولا غيره
واحتجّوا بأنّها ليست هو ولو كانت هو لكان صفة وَلَدُعِى
فقيل يا عِلم يا قُدرة يا سمع يا بصر ولمّا قام بذاته

كما أنّ الصفات لا تقوم بانفسها ولا هى غيره لأنّ حدّ
المتغايرَين جواز وجود أحدهما مع عدم الآخر [f° 19 v°] فلو كان
علمه وقدرته وسمعه وبصره غيره لجاز عدم العلم والقدرة
وغيرها مع وجود البارئ فيحصل بلا علم ولا قدرة ولا هى
بعضه لأنّ التبعيض من دلائل الحدث واللّه لا يُوصف
بالابعاض والأجزآء   وقالت المعتزلة فى صفات الذات
انّها ليست من غير الذات شيأً فذات البارئ عالمة حكيمة
قادرة سميعة بصيرة وهو عالم بذاته قادر بذاته سميع بذاته
بصير بذاته وانّما الصفات ما وَصف اللّه به نفسَهُ أو وصفه
العبادُ بها قالوا ولا يجوز ان يكون علمه وقدرته هو ولا غيره
لانّها لو كانت هو لكان اشيآء كثيرة مختلفةً ولعُبِدَتْ
ودُعِيَتْ فلو كانت غيره لكانت قدمآء كثيرة وإن لم يزل
مع البارئ وإن كانت محدثة فكان قبل احداث العلم غير
عالم وقبل احداث القدرة غير قادر وكذلك سائر الصفات
فثبت أنّ ذاته عالمة قادرة إن كان له علم به يعلم وقدرة
بها يقدر ولم يخلُ من أن يكون هى هو أو غيره وقالوا
لا فَصْل بين من زعم انه هو أو غيره او بعضه قالوا وقول

القــائـل لا هو هو نفيٌ وقــولـه لا غيره رجوع عن ذلــك النفى واثبات لــه فهولاء يزعمون أنّــه لو كان لــه علم لكان معـه غيره ومخـالفـوهم يزعمون ان لو لم يكن لــه علم لكان جاهلًا قــالوا وهو موصوف بــالقِدَم والقدرة والعلم فلو كان عالمًا بنفسه قــديمًا لما جاز أن يُــوصَف بنفسه كما لا يُصَوّر المصوّرُ بنفسه ولا يكتب المكتوب بنفسه ولا يشتم المشتوم بنفسه وانّما يشتم المشتوم بشتم ويصوّر المصوّر بصورة فصحّ أنّــه موصوف بصفات والصفات يشتقّ منها الأسامى فــالقديم من القِــدَم والقــدير من القــدرة والعالم من العلم كما أنّ الحمرة لــلأحمر والصُفْرة صفــة لــلأصفر ثم هُوَلَا هِىَ ولا غيرها قــالوا ولو لم يشاهد عالمًا الا بعلم ولا قــادرًا الّا بقدرة فكــذلــك مــا غاب عنّــا فــقــال لهم مخالفوهم أليس الحُمرة والصُفرة عَرضان فى الأحمر والأصفر أو ليس العالم منّــا بعلم علمه عارض فيه فهل [١] الى تمثيــل البــارئ بجسم ذى عرض وبِمَ يــنفصلون ممّن يزعم انه جسم أو عَرض لوجود الفعل منه لأنّه لا يظهر الفعل فيما يشاهده إلّا من جسم حدَثٍ فهل يجب علينا القضاء

[١] Lacune. Ms. كذا فى الاصل.

بأنّـه جسم ذو أعراض وأبعـاض إذا لم نشاهد الفعل إلّا من جسم ذى أعراض وأبعاض كذلـك لا يجب القضآء بـأنّـه عالم بعلم اذا لم نشاهد عالمًا إلّا بعلم فـإن قيـل إذا أجزْتَ عالمًا لا يعلم فَـأجِزْ جسمًا لا بصفـات الجسم قيـل لـو لـزم ذا للزمـك هو بعينه فى إجازتـك عالمًا بعلم لا هو ولا غيره ولا بعضه وأمّـا قـولهم ان المصوّر لا يصوّر بنفسه والمكتوب لا يُكتَبُ بنفسه وانّما يصوّر بصورة ويكـتب بكـتابـة والصورة والكتابـة لا شكّ غيرهما وقولهم من الصفات يشتقّ الأسامى فـالصفات هى الأسامى بعينها ليست أنّها اشيآء كامنة فيه كالأعراض فى الجواهر ولكنّـه إذا أبدى فعلًا من افعالـه تسمّى بـه او سمّاه العباد بـه والكلام يطول فى هذا ويمتدّ ومتى اعمل النـاظر فكره فى هذا المقـدار [٢٠ r° 20 ٢°] تبيّن لـه وجه الصواب بحول الله وقوّتـه

القول فى الأسامى اقول أن اختلافهم فى الأسامى كاختلافهم فى الصفات وعامّة المعتزلة على أنّ الأسامى هى الصفات وأنّ الاسم غير المسمّى وهو قول المسمّى وحدّ الاسم ما دلّ على المعنى وقالت فرقة أنّ الاسم والمسمّى واحدٌ واحتجّوا بقوله تعالى سَبِّحِ اَسْمَ

رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى فلو كان الاسم غيره لكان قد أمر بعبادة غيره
وقد قال سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فدلّ على
أنّ اسم الله هو الله وقال اذْكُرُوا ٱللَّهَ ثمّ قال فى موضع
وَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ وناقضهم مخالفوهم بأنّ الاسم لو كان
المسمَّى لكان اذا غُيِّرَ تَغَيَّرَ المسمّى واذا أُحرِق أو خُرِّق أو غُرِّق
أثّر ذلك كلّه فى المسمّى وكلُّ مسمًّى سابق اسمه وجائز
تبدّل الاسم عليه والاسماء مختلفة كثيرة والمسمّى واحد غير
مختلف وقد قال الله عزّ وجلّ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى
فَٱدْعُوهُ بِهَا وما هو له فهو به يُدْعَى وهو غيره لا شكّ
وأجمعت الأمّة أنّه غير جائز أن يقال له يا حَسَن على
أن يكون حُسْنه فى ذاته وانّما يُوصف بحسن القول والفعل
وقد أخبر أنّ له اسماء حسنة فى غاية الحُسن ونهايته
فعُقِل أنّه غير اسمائه واسماؤه معلومة محدودة معدودة الحروف
ولا يجوز اطلاق شئ من ذلك على البارئ سبحانه وتعالى
واسماؤه تختلف باختلاف اللُّغات فكما أنّ لغة الفرس
هى غير لغة العرب ولغة العرب غير لغة الحبش لقول الله
تعالى وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ كذلك التسمية بها

مختلفة فاذا اختلف الاسم وهو واسمه واحد فذاك الاختلاف شائع فيه لا شكّ اللهمّ إلّا أن ينكر أن لا يكون له غير اسم واحد وأن لا يختلف ذلك الاسم باختلاف اللغات فهذا جاحد ضرورة لا غير وقوله تعالى سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى أى اذكره باسمه وصفته لأنّه غير ممكن ذكر شئ إلّا باسمه ثمّ قوله سبّح لله واذكروا الله واذكر ربّك على ما يتعارفه الناس انّ الشئ اذا لم يكن ذكرًا فى نفسه لم يكن ذكره إلّا باسمه وقول القائل اللّه معلوم انّه اسم عربى لمعرفة معناه واشتقاقه وغير جائز القول بأنّ الله عربى او عجمىّ فإن قال قائل اذا كان الاسماء والصفات من أقوال العباد وكناياتهم فلَمْ يكن له اسم ولا صفة قبل الخلق وكان عُطلًا غفلًا الى أن سمّاه العباد قيل قد قلنا أنّ صفاته على وجهَيْن صفة ذات وصفة فعل فما كان من صفات الذات لم يزل بها موصوفًا وان لم يصفه بها واصفه كما أنّه لم يزل واجدًا فردًا وان لم يكن خلق يوحّده وعالمًا وان لم يكن المعلوم موجودًا وقادرًا وقديمًا فامّا القول بأنّه لم يزل مَدْعُوًّا أو معبودًا أو مشكورًا فالشاكر والعابد والداعى

ليسوا لم يزالوا وكذلك القول بأنّه لم يزل خالقًا رازقًا يقتضى ازليّة المخلوق والمرزوق اللهم إلّا على جهة القدرة على الخلق والرزق فانه يستقيم له ذلك وكذلك لو قال لم يزل سميعًا بصيرًا على معنى سَيُبْصِر وسَيَسْمَع وأجمع المسلمون أنّ الله حىّ قادر قديم سميع بصير واحد فرد عالم حكيم متكلّم جواد فاعل مختار موجود رحيم عدل متفضّل غنىّ واختلفوا فى تفصيل هذه الصفات وعِلّلها فزعمت طائفة أنّه عالم لأنّ له علمًا وزعم آخرون أنّه عالم بذاته لأنّه يدرك الاشياء كما هى وقد تقدّم حُجج[1] الفريقين مجملًا وكذلك قولهم فى القِدَم والقدرة فمن ابى[2] القول بأنّ حدّ القديم والقادر أن يكون له قِدَم وقُدرة قال حدّ القديم الموجود لا إلى أوّل وحدّ القادر الذى لا يمتنع الفعل عليه باختياره وأجمع هولاء انه موجود [٣٠ ٢٠ ١] بعينه وذاته ولا يُوجد لأنّه لو كان موجودًا بوجود لم يخلُ ذلك الوجود مِنْ أنْ يكون موجودًا او ليس بموجود فإن كان غير موجود فقد

[1] Ms. حجاج.

[2] Ms. الى.

دخل فى بـاب العدم وإن كان موجودًا فقد وجب أن يُوجد بوجود آخر إلى ما لا نهايـة والقول بما ليس لـه نهايـة يؤدّى الى قول اهل الـدهر وقـالت طائفـة أنـه حىٌّ بحياة عالمٌ بعلم وزعم آخرون أنّ معنى الحىّ وجود الافعال منه على اتّفاق واتّساق واختلفوا فى ذاتـه ألها نهايـة أم لا فقال اكثرهم أنـه غير متناهٍ لانّـه لا بجسم ولا عرض ولا حدّ له فيقتضى النهايـة وهو مبدع النهايـات والحدود وزعم هشام بن حكم انّـه متنـاهٍ وكذلـك يلزم كلّ مجسّم وقـد قـال اصحاب القضاء انّـه غير متنـاهى الـذات واختلفوا أذاتـه مرئيّـة أم غير مرئيّـة فمن قـال بـالتشبيه او راى الـرُؤيـة العلم قـال هو مرئىّ كما هو موجود معلوم ومن ابى ذلـك قـال غير مرئىّ كما هو غير محسوس ولا ملموس بقى الاختلاف فى التوفيق بين الرُؤيـة والعلم واللمس والتفريق بينهما

واختلفوا فى الكلام فمن قـال هو من صفات الـذات قـال غير مُحدَث ولا مخلوق لأنّ الله لم يزل متكلّمًا بكلام لا هو هو ولا هو غيره ولا بعضه ومن قـال من صفات الفعل قـال هو مُحدَث لأنّ الكلام يقتضى متكلّمًا واختلفوا فى الإرادة

بحسب اختلافهم فى الكلام واختلفوا فى المكان فقال اكثرهم انه بكلّ مكان حافظًا مدبّرًا وعالمًا وقادرًا وليست ذاته بجسم فيشغل الاماكن ولا بعرضٍ فيحلّ الاجسام ومن كان بهذه الصفة فغير محتاج الى المكان وقال هشام بن الحكم والمشبّهة انه فى كلّ مكان ذو مكان وذلك مُطّردٌ على أصله لما يراه جسمًا وقال قوم انه فى السمآء فوق العرش بذاته بلا نهاية لاكون الشئ على الشئ بالماسّة والاظلال وزعم ابن كُلّاب انه على العرش لا فى مكان واذا أجازوا أن يخلق الله جسمًا لا فى مكان وأن يُقيم العالم لا فى مكان فما ينكرون من كونه لا فى مكان وليس هو بجسمٍ ولا عرض واختلفوا فى العلم فقال قوم عالم بما كان قبل ان كان وبما يكون قبل ان يكون ولا يجوز أن يخفى عليه شئٌ إلّا بأنّه استفاد علمًا او أحدثه لنفسه بل ذاته متنبّهة عالمة وزعم قوم من الإماميّة أنّ الله لا يعلم ما هو كائن حتى يكون قالوا ولو كان يعلم أنّ مَن يخلقه يكفر به ويعصيه ويؤذيه لمَا خلقه وأجازوا فسخ الخبر والبداء واوّل من أبدع هذا الرأى فى هذه الأمّة المختار بن ابى عُبَيد كان يزعم أنّه يعلم ما يحدث بن جهة الوحى فيخبر

أصحابه بكوائن فإن اتّفقت فهو ما أراد وإن خالف قد ابدأ
لربّكم وكان جهم بن صفوان ينفى الصفات كلّها عن اللّه
سبحانه ويُنكر القول بأنّه شئ زعم فرارًا من التشبيه ويقول
عِلْمُ الله محدث وجملة الردّ على هولآء أنّ الجاهل منقوص
ومستحقّ المذمّة لا يستحقّ الإلاهيّة وأجاز المعتزلة كون ما علم
الله انه لا يكون لأنّ عِلْم الله ليس بعلّة ككون الشئ
ولا حامل للمعلوم على الكون كما أنّه لم يزل عالمًا بخلقه العالم
قبل خلقه ثمّ لم يجز القول بأنّ علمه عِلّة الخلق وحامل له
على إيجاده قالوا وممّا علم الله أنّه لا يكون أمور علم أنّها
لا يكون لاستحالة كونها [fol. 21 r°] ككون إله معه أو كون
شريك أو كون غالب يغلبه أو كون نهاية وانقضآء له ومنها
أمورٌ علم أنّها لا تكوّن لاستحالة كونها فلا يجوز كونها بحال
قالوا وغير جائز أن يأمر عبدًا بما يعلم أنّه لا يكون منه ما
يأمره به ولا يقدر عليه لاستحالته أو لعجزه وانّما يجوز الأمر
لمن علم انه قادر على الفعل لأن القدرة هى التى تقتضى
التكليف لا العلم وقال مخالفوهم لا يجوز كون خلاف ما
علم الله ويجوز الأمر بخلاف ما علم لانّه لو جاز كون خلاف

ما علم كان عاجزًا جاهلًا وهذه هى مناظرة بين الفريقين مليحة مُفيدة قالوا لهم أليس فى قولكم انّ الله لم يزل عالمًا بأنّ فرعون لا يؤمن قالوا بلى قالوا فكان فرعون يقدر ان يؤمن وقد علم الله أنّه لا يؤمن قالوا نعم قالوا فكان فرعون يقدر على إبطال علم الله وتجهيله قالوا لو علم الله ان فرعون لا يقدر ان يؤمن كما علم انّه لا يؤمن ثمّ قلنا انه آمن أو يؤمن لكنا مُبطلين مجهلين ولكنا قلنا علم الله انه لا يؤمن وعلم انه يقدر ان لا يؤمن ولم يؤمن فلم نكن مُبطلين ولا مجهلين ثم قلبوا عليهم السؤال فقالوا أليس الله عالمًا بانه يقيم القيامة فى وقتها وهو القادر على أن لا يقيمها قالوا بلى قالوا فهل يجوز القول بأن الله قادر على إبطال [علمه] علمه وتجهيل نفسه اذا كان قادرًا على أن لا يفعل ما علم انه يفعله وعلى ان يفعل ما علم انه لا يفعله قالوا وليس علم الله أن فرعون لا يؤمن وأمره بأن يؤمن فهل أمره بتجهيل علم الله فيه واختلفوا فى جواز وصف الله بالقدرة على المحال كإدخال العالم فى جوزة او بيضة فقال الجمهور من اهل العلم لا يجوز ذلك لأنّه يقتضى العلم مقدورًا كما يقتضى العلم معلومًا فكلّ ما هو غير مقدور

عليه محال إجازة القدرة عليه وزعم بعضهم أنه قادر عليه
واختلفوا فى وصف الله تعالى بالقدرة على الظلم والجور فأحاله
قوم لأنّ ذلك مذموم لا يفعل إلّا عن نقص او حاجة ولو جاز
ذلك لم يكن مأمومًا ان يقع ولجاز وصفه بالقدرة على الجهل
والعجز وكان ابو هُذيل يقول هو قادر على ذلك ولكن
لا يفعله لرحمته وحكمته وليس يفعل الظلم والكذب غير مقدور
عليه فيكون محالًا واختلفوا فى قدرة الله تعالى هل هى علم الله
ام غيره وكذلك الحيرة فالقدم وسائر صفات الذات وزعمت
طائفة انّ علم الله ليس قدرته ولا غيرها لأنّه لو كان العلم
والقدرة لكان ما علم فقد قدر عليه وهو يعلم نفسه ولا يصلح
القول بأنّه يقدر على نفسه ولو كان علمه غير قدرته لكن يجوز
وجود أحدهما مع عدم الآخر ولو جاز هذا لجاز أن يكون
البارئ فى حالٍ عالمًا غير قادرٍ أو قادرًا غير عالم وزعم
داود بن على أنّ علمه غير قدرته وامّا المعتزلة فليس من قولهم
أن له علمًا وقدرةً حتّى يلزمهم التفصيل بينهما واختلفوا فى
التعديل والتجويز من خلقه أفعال العباد وماهم يكتسبوه من
المعاصى والمآثم وقضائه إيّاها عليهم وارادته منهم وعقوبته لهم

عليها بعدَ أن أوجدها منهم فقال قوم كلّ ذلك منه وفعله
وهو عدل وحكمة لأنّ الخلق خلقه والأمر أمره لا يكون منه
ظلم ولا جور ولو جاز حدوث حادث بغير مُراده او مشيّته
وإيجاده لكان عاجزًا مغلوبًا وقال آخرون لو كان كما يزعمون
لما كان الخلق ملومين ولا معاقَبين ولا من يفعل بهم هذا
حكيمًا. ولا عالمًا [٣٠ v 21 °١] ولا رحيمًا وهذا من باب الحيَرْ
والقدر والاختلاف فيه قائم مذ وُجِد فى العالم حيّان ناطقان
ولا يجوز غير ذلك لتكافؤ الدلالة وأعدل الأمور أوساطُها
فقد قيل الناظر فى القَدَر كالناظر فى عين الشمس لا يزداد على
طول النظر ألّا حيرةً ودهشًا ومَن طاوعَتْه نفسُه بالإمساك
عن الخوض فيه والاقتصار على ما فى الكتاب رجوت ان يكون
من الفائزين

الفصل الرابع

فى تثبيت الرسالة وإيجاب النبوّة

أقول أنّ منكرى الرُسُل صنفان أحدهما المُعطّلة الذين ينكرون إثبات البارئ سبحانه فلا وجه للكلام معهم إلّا بعد إقرارهم بالتوحيد والثانى البراهمة اقرّوا بالصانع وانكروا الرسالة واحتجّوا بأنّ الرسول لا ياتى إلّا بما فى العقل او بخلافه فإن كان يأتى بموجب العقل فما فى العقل كافٍ مما يجب لله تعالى على العباد من معرفته وتوحيده وشكره وعبادته واستعمال الحُسْن واستقباح القبيح وان كان يأتى بخلافه فلا وجه لقبوله لأنّ الخطاب وقع على نوى العقول والقضيّة لها والتمييز اودعتاها فاجابهم المسلمون بأن الرسول أبدًا لا يأتى إلّا بما فى العقول إيجابه أو تجويزه وحاشا لله ولرسوله أن يأتوا بخلاف ما فى العقول ولكن من الأشياء مما يغمض ويلطف حتى يخطئه العقل او يخفى ويحتجب حتى

يقصر دونه العقل كانتفاع الانسان بما ينزع اليه نفسه ويشتاق اليه طبعه من ملاذّ الاغذية والملاهي المقوّية فانه حَسَنٌ في العقل الأخذ منها بقدر الحاجة بل واجب وغير حسن اذا كان لا يملكها الانتفاع بشئ منها الّا بعد الإذن من مالكها فصار فعل العقل في حال خلاف فعله في حال فدلّ ان العقل لا يستغني بنفسه ولم يضامّه شئ من السمع مع أنّ العقل محتاج الى الرياضة والتمييز والسمع والتجارب لا غير موهوم لو ان أكمل الخلق عقلًا واوفاهم فطنةً غُيّب عن الناس وليدًا حتّى لم يسمع شيئًا إلى ان بلغ فأدرك انه يمكنه استخراج علم الفلسفة والهندسة والطبّ والتنجّم وغير ذلك فدلّ هذا كلّه أنّ العقل غير مكتف به ولا بدّ من معلّم ومعرّف وهادٍ ومذكّر ولا يجوز ان يقع العلم بهذه الاشيآء إلهامًا ضروريًّا لانّا ليس نشاهد ذلك في أجناسها وامثالها وان لا يكون كلّها بالا ستخراج والاستنباط من غير مقدّمة وأصل سابق فان قيل اذا كان البارئ مريدًا لصلاح خلقه غير بخيل[1] ولا عاجز ولا يمسّه تكلّف ولا علاج فيما يفعله فهلّا جعل خلقه رُسلًا وألهمهم من

[1] Ms. بحيل.

العلم ما استغنوا بـه على الرسل او حبس طباعهم عن التخطى
إلى محظور قيل لو فعل ذلـك لم ينزلهم دار البلوى والامتحان
ولا عرّضهم لشرف الثواب وما هو إلّا كقول من يزعم لِمَ
خلق الله الخلق وأسقط عنهم التكليف وابتدأهم فى الجنّة
وهذا باب التجويز [f° 22 r°] والتعديـل وليس كتابنا هذا
بنيّنا له[1] ولكن لو فعل كان لـه ما فعل فـإذا لم يفعل فنقول
أساء أو جهل او عجز وهذا الظنّ نقض التوحيد وإبطال الدين
فيعاد الكلام فيه وتقرّر بـأنـه عادل حكيم لا يفعل إلّا الأصلح
بخلقه والاعود عليهم ولو جعلهم كلّهم رُسُلًا لوجب أن يسوّى
بينهم فى الفضل والعقل والجاه والمال والقوّة ولو فعل لما عرف
فـاضل فضلـه ولا قوىّ قوّتـه ولما شُكِر وحُمِد فى إسقـاط
موجبات الشكر والحمد وإباحة الفكر والـذمّ وهذا قبيـح فى
العقل فدلّ أنّـه لم يجُز التسويـة بين الخلق لا فى الحال ولا
فى المال ولا فى الرسالـة فـان طعنوا فى الرسالـة بما يوجد
فيها من سفك الـدماء وذبح البهائم وإيلام الناس فـإنّ العقل
لا يردّ شيـاً من ذلـك إذا كان فيه ضرب من الصلاح كما

[1] Corr. marg. هذا بنيناه.

يكره الانسان على شرب الأدوية الكريهة وعلى الفَصْد والحجامة وقطع بعض الجوارح عند انتظار مخوفة وتأديب الأطفال وغير ذلك فيوجب عليه أن لا يردع ظالمًا ولا يقتصّ من جارحة وهذا قبيح وترخيص فى الفساد ومن أعظم الدلائل على وجوب الرُسُل هذه اللُغات المختلفة التى تلفّظ الناس بها ويتعارفون بها ما يحتاجون الى معرفته ولا بُدّ من معرّف ومعلّم لها اسماء المسمّيات باختلاف اللغات وكذلك الصناعات والآلات التى يتوصّل بها اليها وليس فى وسع الناس استخراج لغة ووضع لفظ يتّفقون عليه إلّا بكلام سابق به يتداعون ويتواضعون ما يريدون وليس فى المعقول معرفة ذلك ولابدّ من معلّم قال الله عزّ وجلّ وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ثمّ إذا صحّت النبوّة ووجبت الرسالة بقى أن يُعلم الفرق بين النبّى وبين المتنبّى لأنّ الأشخاص متساوية متماثلة ففرّق الله تعالى لما اراد من أقامه حجّته وإظهار دعوته بين الصادق والكاذب منهم بما خصّه به من الآيات الباهرة والعلامات المعجزة الخارجة عن العادة والحسّ وذلك معروف معدود كما

يُحكى عن موسى وعيسى ومحمّد عليهم السلم وغيرهم من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين

القول فى كيفيّة الوحى والرسالة، أقول أنّ المسلمين ومن قبلهم اختلفوا فى هذا الباب اختلافًا كثيرًا فزعمت طائفة أنّ الوحى إلهام وتوفيق وزعم آخرون أنّه قوّة الروح القُدسىّ وعند الفلاسفة النبوّةُ علم وعمل والمسلمون يقولون الوحى على وجوه فمنه الإلهام ومنه الرويا ومنه تلقين ومنه تنزيل وهذه مسئلة من فصل الصفات اغفلناها فى موضعها فحرّرناها فى هذا الفصل وهى كيفيّة القول والفعل من الله لأنّ اهل الاسلام فى ذلك مختلفون فزعم بعضهم أنّ كلام الله فعل منه فهو به متكلّم وكذلك إرادته ومشيّته وحُبّه وبُغضه وقوله كُنْ فَيَكُونُ تكوين منه للشئ والقول زيادة قالوا لأنّ هذه الاشياء أعراض تحلّ فى مواضع لها معلومة وليس هو بمحلّ الاعراض وقال عامّتهم ان الفعل تكوين [f° 22 v°] وإيجاد من غير معالجة بجارحةٍ إلّا مَنْ شَذّ فزعم انّه يخلق بيدَيْه والافعال على وجوه كثيرة فمنه الفعل بالقصد والاختيار ومنه الفعال من غير قصد على السَهْو ومنه الفعل بالاتّفاق والبحث

وكلّها حركات ومنه فعل التولّد كما ينفعل الشئ بطبعه وفعل
الله تعالى غير مُشبَّه بشئ ممّا ذكرنا وزعم قوم أنّ كلامه ليس
من أفعاله وفرقوا بين القول والفعل ولقد امتدّ بنا القول إلى
هذه وما كان قصدُنا ان نبلغ كلّه ولكن لمّا رجونا من الخير
وأمّلناه من هُدَاتِهِ الناظر فى كتابنا واهتدآئه به ولمّا نرى
من فساد الزمان وأهله وتحرم طالع الالحاد والنفاق واعجاب
كلّ ذى حرفين بنفسه لانتقاض العلمآء ودروس آثارهم وما
قدّمت من عمل هو أوْكَدُ فى نفسى ام لا[1] وأوثق عُدّة من
جميع هذا الكلام والاجتهاد فى شرحه وأسئل الله الذى منّ
وأعان أن يعصم من نزغات الشيطان وينفع به الناظرين
والمستفيدين وان يرحم من عذرنا فى تقصير إن كان منّا وقام
بتقويم أَوَدِهِ وإصلاح غلطه مشاركًا لنا فى ثوابه وأجره فلم
يتعمّد فيه خطاء وتحريفًا ولا حملتنا الحميّة والتعصّب على تزيّد
أو إبطال أو تغيير رواية أو حكاية بل سُقناها على وجهها
وأدّيناها بأوجز لفظها لعلمنا بعموم الحاجة اليه من الأعاجم
والأمّيّين مبتدئ المتعلّمين ٠

[1] Ms. املا٠

الفصل الخامس

فى ذكر ابتدآء الخلق

قال انّ الموحّدين فى معنى إيجاد الخلق مختلفون لانّ الله خلق الخلق لا لاجتلاب منفعةٍ ولا لدفع مضرّة وكلّ فاعل من غير نفع ولا ضرّ فسفيهٌ غير حكيم قال المسلمون هذا إذا كان الفاعل يلحقه المنافع والمضارّ فأمّا إذا كان غنيًّا من احتراز منفعة ممتنعًا من لحوق ضرر فغير سفيه ولا عابث وقد قامت الدلالة على أنّ البارئ كذلك حكيم غير سفيه ومحال وجود العَبَث من الحكيم فلا يخلو خلقه من الحكمة وان خفى علينا وجهه لعلمنا بأنّ الحكيم لا يفعل ما هو غير حكمة واختلف اراء الناس فى ما لاح لهم من الحكمة فى خلقه وإن كان لا يجوز القطع على شئ منه لظنّه معظم علمه عنهم فقال قوم خلق الله الخلق لجوده ولرحمته إذِ الجواد بإفاضة

الجوُد على المجود عليه يظهر جوده والقادر بإظهار المقـدور يظهر قدرته وقال قوم خلقهم لينفعهم وينفع بهم يعنون لتعبر[1] المتكلّفون بالمخلوق غير المكلّف وقال قوم ليأمرهم وينهاهم وقال قوم خلقهم لاستدعاء الشكر والثناء وقيل لعِلم علمَهُ أنّه يخلقهم وقال قوم لا نقول شيئًا من ذلك خلقهم لما شاء ولا علم لنا بمشيّته هذا قول من اقرّ بحدوث العالم وأنّ له مُحدثًا سابقًا له فأمّا من انكر ذلك فإنّه احتجّ للقِدَم والاهمال بأنّه لو كان للعالَم صانع او مدبّر ناظر لما كان فيه تفاوت خلق ولا تعادى سباع ولا شمول بوار ولا وقوع فساد ولا اعتراض أسقام وأوجاع ولا هَرَم ولا موت ولا حزَن ولا فاقة وأيّة حكمة فى انشاء صورة حيوانيّة او ناميّة ثمّ فى إفنائها ولما استوى حال المعاند والمجيب ولما فضل العالِمَ الجاهلُ بالجاه والمال والمنزلة [f° 23 r°] وهل لا[2] أُخبر الخَلق ان كان له خالق على التناصف والتواصل ولِمَ خُلّى بينهم وبين التعادى والتظالم والتباغى والتهارج وهذا كلّه مضمحلّ متلاشٍ بشهادة آثار الخَلق

[1] Ms. لتعبر.

[2] Ms. هلاّ; corr. marg. هل.

على تفاوته واختلافه فى الظاهر من الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والاعراض والمقارنة له بمعرفة كمال القدرة ووجوب العبرة فى خلق الأضداد وللكاره وإعطاء الخلق القوّة والقُدرة والاختيار ليستحقّوا بأعمالهم أشرف الثواب وليرتدعوا بالاعتبار عن الظلم والفساد ولو كانوا مجبورين كما يزعمون أو مجبولين على فعل واحد دون ضدّه لكانوا جمادًا مواتًا ولو كانوا على طبع واحد لما عرفوا بحواسّهم ولا وجدوا بعقولهم إلّا الشئ الواحد الذى يلايم طبعهم فلم يصلح حينئذٍ تكليف ولا وقع منهم تمييز وترك إلحادهم على هذه الصورة انفعلهم وابلغ فى الحكمة ولا يفعل الله إلّا الأصلح الأحكم وأمّا فضل الجاهل العالم بالمال والجاه فالعلم أفضل من المال لأنّه السعادة اللازمة والمال من السعادة المفارقة فلو أنصف هذا الزاعم فى القضيّة لفضّل الجاهل بالمال على العالم لفضّل العالم على الجاهل بأضعاف علمه لتساوى حالَيْهما وقد سُئل جعفر بن محمّد الصادق رضى الله عنه عن هذه القضيّة قال ليعلم العاقل أن ليس إليه من أمره شئ واى لعمرى هو من أدلّ دليل على مُدبّر قدير قاهر وهولآء المعطّلة اقلّ الناس عددًا

واوهنهم عُـدّةً وافيلهم رأيًـا وأوهاهم عزمًـا وأنقصهم حجّةً وأخسّهم دعوًى وأدناهم منزلـةً وأغربهم ذهنًا لا يظهر واحد فى أمّـة وجيـل إلّا فى الـدهر والحين لأنّـه رأى مشرذل وعقيدة مهجورة وعزم مدحول لا يبـدو إلّا من فَـدْمٍ جاهلٍ أو معاندٍ وما أراه انتشر فى أمّة من الأمم وزَمَن من الأزمنة انتشاره فى زماننا هذا وأمّتنا هذه لتستُّر أهله بالاسلام وتحلّيهم تحلية شرائعهم ودخولهم فى غمار أهلـه واحتال من احتال لهم بلطيف التمويـه فى تسليم الأصول الظـاهرة والمصير بـه إلى التـأويـلات البـاطنـة فهم يُرقّقون عن صَبُوح ويحتسون فى إرتغاء وذلـك الـذى حقن دمآءهم وغمد سيف الحقّ عنهم نابغ فى قديم الدهر وحديثه وابدا صفحته إلّا عوجل بالاستئصال واحتث منه الأوصال واستنجز المدّة فيهم سنّة الله فى الدين خلّو من قبل ولن تجد لسنّـة الله تبديـلًا زعموا أنّ هذه الدنيا قـديمة لم تزل[1] على ما هى عليه ولا تزال[2] كذلك من صيفةٍ بعد شتوةٍ وشتوة بعد صيفة وليل بعد نهار ونهار بعد ليل ونطفة

[1] Ms. يزل.

[2] Ms. يزال.

ن إنسان وانسان من نطفـة ووالد من ولد وولد من والد .
وبيض من طير وطير من بيض وكذلك جميع الاشياء الحسّاسة
والنامية بعضها من بعض بلاصانع ولا مدبّر لا اوّل لها ولا آخر
فـإنّ هذه دعوى جائزة ومقالـة باطلـة ولو كان هذا المُدَّعى
لم يزل مع أزليّـة العالم بزعمه لما ساغت لـه دعواه ان لم يقُمْ
لـه دليل من غيره على أزليّتـه فكيف وليس هو ممّن هو لم
يزل ولا هو ممّن لا يزال وان اعتمد فيه خبر من كان قبله وان
من أخبره لهو فى حالـه وحدوثـه لم يشاهد من ذلـك إلّا ما
شاهد من كان قبله مع معارضة الخصم لـه [f° 23 v°] فى الكون
والحدوث لأنّ الدعاوى تصحّ بالحجج لا بالصفات وإن زعم انّه
قـاس ما مضى منه بما هو مُستقبَل فيما بعدُ وانّـه غير مُنْقَضٍ
فهذا القضاء أجود من الأوّل وأضعف مدّة بل هو نفس دعواه
التى خولف فيها والمعارضة قـائمـة فـإن زعم الحال والوقت
الـذى هو فيه فـإنّ هذا رأىُ مَنْ قَصُر عِلمه وسَخُفَتْ معرفته
وأوجب أن يكون هو بنفسه لم يزل على ما هو عليه فى الحال
والوقت لم يكن قط نطفـة ولا علقـة ولا مُضْغـة ولا جنيناً
ولا رضيعاً ولا يتغيّر فيما بعدُ فيكتهل ويشيب ويهرم وتجرى عليه

حدوث وتنتقل بـه الأحوال ومعـاينـة هذه يضطرّه إلى
الإقرار ويبيّن عنـه وجه العناد وإن زعم أنّ حكمه فى نفسه
خلاف حكم العالم قيل ولِمَ زعمتَ ذلـك وهل أنت إلّا جُزْءٌ
من العالم بل قـد شبّهت فى جميع معانيه فسُمِّيتَ العالم الأصغر
وكذلـك كلّ مـا يعاين من الأشخاص والأنواع العُلويّـة
والسُفلية من الحيوان والنبـات ألاترى أنّـك لو عمدت الى
كلّ جزء من أجزآء العالم فـاختصصتّـه باسم لحصل العالم
لا شئ كما أنّـك لو فرقت الجوارح والأعضآء لحصل الإنسان
لا شئ فهذا يـدُلّـك أنّ الكلّ اجتماع الجزء لا غير فـإن
قـال لا يقوم فى الوهم ولا يتصوّر فى النفس حدوث هذا
العالم ولا فنـآؤه وانقضآؤه عُورض بـأنّـه لا يقوم فى الوهم
ولا يتصوّر فى النفس قدم العالم ولا بقآؤه مع أنّ القضآء عليه
بالحدث والانقضآء أقـرب الى الأوهام وأشدّ ارتبـاطًا لنفوس
لقيام الدلائل الواضحة والبراهين الشافية فإن قال كيف يمكن
اعتقـاد حدوث هذا العالم لا من شئ ولا فى زمان ولا مكان
فـإنّ هذا اشتطاطٌ فى المطالبة وجَوْرٌ فى القضيّة لأنّه تكليف
تمثيل مـا لا مثل لـه وإحساس شئ غير محسوس وليس نعلم

كالدنيا دُنيًا غيرها فنشبّه هذه بهذه وانما نحكم بحدوثها لشهادة أثر الحدوث بها والعامّى الذى لا رأى له ولا نظر عنده يطلب الدلائل الظاهرة على الاشيآء الخفيّة وذلك مُحال بمنزلة مَنْ يحب أن يَرى ما لا يُرى وأن يَسمع ما لا يُسمع او يسمع ما يُرى ويَرى ما هو مسموع ومن أنصف نفسه أنزل المعلومات منازلها واكتفى من الموهوم بالوهم ومن المحسوس بالحسّ ومن المدلول عليه بالدلالة وقد لعمرى لا يتصوّر فى الوهم إحداث هذه الجواهر والأعراض لا من غير سابق ثمّ لا يتصور وجود حدث لا من مُحدث فإذا تكافأت الصورتان لزم المصير إلى أشبهما دلالةً وأدناها الى الحقّ درجةً فإنّ الدلائل شاهدة بآثار الحدث والقدم موهوم وقضيّة الدلالة عليه من قضيّة الوهم والدليل على أنّ العالم حادث غير قديم كما يزعمون وأنّه لا اوّل له ولا حركة إلّا وقبلها حادثة لو كان كذلك لما جاز وجود ما هو حاضر فى الحال من حركة أو ليل أو نهار أو شخصٍ ما لأنّ ما لا نهاية له فى وجوده وعدمه فمحال أن يوصف بأنه قد تناهى وانقضى حدوثه وفُرِغ منه ولأنّ ما لا أوّل له فغير جائز وجود ثانيه

ولا وجود ثالثٍ ما لا ثانىَ لـه ولا وجود رابعٍ ما لا ثالثَ لـه على هذا القيـاس كما أنّ مـا لا غايـة لـه ولا نهايـة فى المستقبل [f° 24 r°] محال ان يُوصَف بـأنّـه ينقضى أو ينقطع يومًا كذلك من زعم من الحوادثَ لم يزل يحدُثُ بلاأوّل فهذا الحادث فى الحال والوقت المشاهد لا يخلو من وجود ثلثـة[1] إمّا أن يكون هو الاوّل أو بعد الاوّل ولا اوّل ولا بعد الاوّل فـإن كان هو الاوّل وان كان بعد الاوّل فقـد ثبت الاوّل وان كان لا اوّل ولا بعد الاوّل فهذا فسادة ظاهرة فكـأنّـه قـال شىْ لا شىْ ولو جاز وجود مـا لا اوّل لـه لجاز وجود العشرات من غير تقـدّم الآحاد ووجود المئين من غير تقـدّم العشرات ووجود الألوف من غير تقدّم المئين[2] لأنّ بالأحد يتمّ الاثنان وبالاثنين يتم الثلاثة ألا ترى أنّ قائلًا لو قال لا تُنبِت الأرض حتّى تمطر السمآء ولا تمطر السمآء حتى تتغيّمَ ولاتتغيّمَ حتّى يثور البُخار ولا يثور البخار حتى تهبّ الـريـاح ولا تهبّ الـريـاح حتّى يحرّكها الفلك ولا يحركها الفلك حتى تكون كذا وعِدَّ

[1] Ms. ثلثه.

[2] Ms. المابين.

فى هذا الاشتراط شيـًا قبل شىء أبدًا الى غير نهايـة ولاغايـة
لم يجز وجود نبت ولا مطر ولا غيم ولا ريح لأنّـه مُعلّـق
بشرط ما قبله غير جائز وجوده لأنّـه غير متناهٍ وكـذلـك
من زعم أنه لم يكن حركة إلّا وقبلها حركة ولا انسان الّا وقبله
انسان ولا نَبْت الّا وقبلـه نبت الى مـا لا غايـة ولا نهايـة
فمحال وجود هـذا الانسان والنبت لأنّ وجوده كان مُعلّقـا
بشرائط لا أوّلها وما لا غايـة لـه لا يُوجد ولا يُعلم ولا يُوهم
وكذلك لو قال قائل لا أدخلُ هذه الدار حتّى يدخلها زيد ولا
يدخل زيد حتّى يدخل عمرو ولا يدخلها عمرو حتى يدخلها فلان
ثم كـذلـك الى غير غايـة لم يجز دخول زيد ولا غيره أبدًا
وكـذلـك لو قـال لا آكل تفّاحًا حتى آكل قبلها تفّاحةً
لم يصحّ لـه اكل تفـاحة ابـدًا لأنّـه كلّما ضرب يـده الى
تفّاحة يأكلها منعه شرط أكل تفاحة قبلها ، ومن الـدليل
على حدث العالم أو أنّ لـه أوّلًا انّا لو توهّمنا عند كلّ حركـة
مضَتْ من حركات الجسم حدوث حَدَثٍ او ظهور شخص لكان
ذلـك اجسامًـا حاضرةً يحضرها العَدَدُ ويـأتى عليها الحسابُ
وكذلـك لو توهّمنا هذا العالم حيًـا عالمًا لجاز أن يُعدّ حركاتـه

وسكناتــه فيكون ذلــك عددًا قــائمًا معروفًــا لمبلغ وما لــه مبلغ وأتى الحسابُ عليه فمتناهٍ وكلّ متناهٍ لــه أوّل وإنْ لم يتناهَ ومن الدليل على حدث العالم وأنّ لــه اوّلًا أن ما مضى من حركات الفلك لا يخلو من أن يكون مثل سكناتها متساويــةً أو اكثر منها أو أقــلّ فــإن كانت مثلها فــالمثل كالنصف وما لــه نصف فمتناهٍ والأكثر والأقــلّ تدلّ الكثرة على تضاعُف أجزآء الأكثر على الأقــلّ فــاذا ثبت تقــدُّم احدى الحركات على الاخرى وما لــه تقدّم فمتناهٍ ولــه أوّل وهذا من الحجج الواضحة التى يفهمها كلّ سامع وللموحّدين فى هذا البــاب من دقــائق النظر بما ألهمهم اللّــه من توفيقــه ما لا يظهر عليها إلّا اللقن الفَطِنُ ولها موضعها من كتابــه فــإن قيل أليس الحوادث عندكم فى المتسقبل لا تزال الى الآخر وإن كان لها اوّل يريدون قول أهل التوحيد ببقآء الآخرة على الأبد فما أنكرتم أن مــا مضى من الحوادث لا أوّل لها وان كان لها آخر قيــل إنّا لا نزعم أنّ مــا لــه أوّل لا يجوز ان يكون لــه آخر وانّ الحوادث غير متناهية [٢١ r] ولكنّا نقول أنّ الحوادث لا يزال يحدُثُ منها حادثٌ بعد حادثٍ لا إلى غايــة ولا يخرج كلّها إلى

الوجود حتى يُرى موجودًا لم يبقَ منه شيءٌ لم يُوجَد وليس أوّل
الشيء بموقوف على صحّة وقوع آخره كما أنّ آخره موقوف على
صحّة وقوع أوّله لأنّه يستحيل وقوع آخر لا أوّل له ولا
يستحيل وقوع آخر بعد آخر أبدًا كما يستحيل وقوع فعل لا من
فاعل متقدّم ثمّ لا يجب وجود الفاعل بعد فعله باقيًا أبدًا أو
كما أنّ الأعداد مفتقرة أبدًا الى أوّل تنشؤ منه وتبتدئ ثمّ
لم يجب وجود تناهيها لتناهي أوّلها ومن الفرق بين المستقبل
والمستدبر أنّه يجوز وجود ما لا يزال يتحرّك ولا يجوز وجود
ما لم يزل يتحرّك كما أنّه يجوز وجود من لا يزال يعتذر من
ذنب ولا يجوز وجود من لم يزل معتذرًا لأنّ الاعتذارات
لا بُدّ لها من أوّل وقد يجوز أن يكون لا آخر لها كذلك
الأفعال لا بُدّ أنّ لها أوّلًا ولا يجب أن يكون لها آخر ومن
هاهنا التزم بعض الموحدّين بأنّ الحوادث لها آخر آخر العلة
الحدث وإن زعم ان هذا العالم وما فيه من فعل الطبائع وما
أوجبته ذواتها فالطبائع مركّبة من البسائط والتركيب عَرَض
وهو دلالة الحَدَث فالطبائع إذًا مُحدثة ثمّ هي جماد وموات
كالحجر والشجر ثمّ هي مسخّرة مقهورة بدلالة أنّ من شأنها

التنافر والتضاد فلمّا رأيناها متواطئة متوافقة علمنا أنّه
بقهر قاهر وضبط ضابط ثمّ هى غير عالمة ولا مميّزة واذا كان
هذا هكذا استحال وجود هذه الصَّنْعَة المحكمة المتقنة
العجيبة البديعة من مُسخّر غير عالم وليس تُنكر فعل الطبائع
وتأثيراتها فى المطبوعات من الحرّ والبرد فى الفصول والارباع
لأنّ الله تعالى وضعها على ذلك وركّب فيها تلك القوّة
وسخّرها لما أراد أن يصرفها عليه وجعلها سببًا لتلك المُسبّبات
ومتى شاء سلبها تلك القوّة وأبطل فعلها كما جعل الطعام
مُشبعًا والماء مرويًا وكثير من الناس يأتون القول بما أطلقناه
تحرّزًا لمذهبهم وان يصحّ فعل من حىّ قادر فأمّا الاختيار
والتدبير فغير جائز الّا من قادر حكيم وكذلك على من
يزعم أنّ هذا العالم وما فيه من فعل الفلك والنجوم وغيرها
فإن قيل اذا لم تَرُوا حيًّا قادرًا فعل انسانًا وصورةً وركّب
فيه العقل والقوّة والسمع والبصر ثم قضيتم بأن فى الغائب حيًّا
قادرًا يفعل ذلك ما انكرتم أن يكون الطبائع تصوّر مثل
هذا الانسان وإن لم تروا مثل هذا فى الشاهد قيل وما
سوآ لأنّا وإن لم نشاهد حيًّا قادرًا فعل انسانًا فقد شاهدنا

-ياً قادرًا فعل شيئًا وأبدعه فدلّنا انه لا يجوز فعل فى
لغائب الّا من حىّ وليست الطبائع بحيّة ولا قادرة فإن
قيل أليس النار تُحرق والمآء يرطّب قيل فقد يقولون فلان
يحرق ويبرّد ويضيفون الفعل الى المختار الحىّ والموات المضطرّ
ولو كانت الطبائع بذاتها لما جاز عليها الاتّفاق مع تضادّها فإن
قيل شئ تعلمونه خاليًا من الطبائع أو غير متولّد منها قيل
الطباع نفسها متولّدة منها وأكثر القدمآء على أنّ الأفلاك
ليست من جنس الطبائع وهل يصحّ القول بأنّ الحركة
والسكون والصوت والعجز والقدرة [r° 25 v°] والعلم والجهل
؛ لحبّ والبغض والألم واللذّة والكراهة والإرادة وغير ذلك
من الأضداد والأشكال من الطبائع أو أنّها ليست بشئ لخروجها
من أنواع الطبائع وأمّا احتجاجهم بالاستحالة فذلك محال الا محيل[1]
لانه لو جاز أن يستحيل الشئ بنفسه لجاز ان يتلاشى بنفسه
ولو جاز ان يتلاشى بنفسه لجاز أن يتركّب ويخرج إلى
الوجود من العدم وهو عدم فلمّا لم يجز هذا لم يجز ذاك
وبالله التوفيق، ومن الدليل على حدث العالم أنّه لا يخلو

[1] Note marginale : كذا فى الأص.

من أحد الامرَيْن إمّا أن قد كان وإمّا أن لم يكن فكان فإن كان قد كان فهذه الحوادث المقارنة له شاهدة بأنّه ما كان فدلّ أنّه لم يكن فكان ثمّ لم يخلُ هذا من أحد الامرَيْن إمّا أنّه كان بنفسه وإمّا أنّه كان بمكوّن غيره فإن كان بنفسه فمحال أن يكوّن العدم وجودًا لعجز الكائن عن تكوين مثله فكيف يقدر على تكوين ذاته وهى معدومٌ بقى الوجه الآخر وهو أنّه كوّنه مُكوّنٌ ومن الدليل على حدث العالم أنّه لا يخلو أن يكون قديمًا أو حادثًا أو قديمًا حادثًا أو لا قديمًا ولا حادثًا فاستحال القول بأنّه لا قديم ولا حادث لمشاهدتنا إيّاه فاستحال أن يكون قديمًا حادثًا لاستحالة اجتماع الضدّين بقى القول بالقديم والحدث والدعوى يتساوى فيه لأنّه ليس قول من زعم أنّ العلم كان أولى من قول من زعم بأنّه لم يكن ولا جواب من قال لِمَ لَمْ يكن بأسعد من قولِ مَنْ قال لِمَ كان فنظرناه فإذا دلائل الحدث يشهد بما لا يشهد دلائل القدم ومتى أراد المُلحد ان يعارضك فى قولك بالقديم فطالبْه بصفات القديم فإن أعطاك فقد أقرّ بالمعنى وبقى الخلاف فى التسمية وهذه مناظرة

جرَتْ بين الموحّد والملحد من أوضح المسائل وأنفعها لا بُدّ لكلّ مُسلم من تحفّظها، إن سأل سائل فقال ما الدليل على حدث العالم قيل الدليل على حدثه أنّه جواهر وأعراض والجواهر لا تخلو من ان تكون مجتمعة أو متفرّقة أو ساكنة أو متحرّكة إلّا فى حال واحدة ولن يجتمع المجتمع بالاجتماع ولا يفترق المفترق بالافتراق وكذلك المتحرّك والساكن والاجتماع والافتراق والحركة محدثة وهو إذا كان كذلك ولم تخلُ الجواهر منها فهى محدثة لأنّ ما لم يسبق الحوادث ولم يتقدمها فحادث مثلها مثال ذلك أنّ فلانًا لو قال أنّ عمرًوا لم يوجد قطّ فى هذه الدار إلّا وزيد معه ثم قال وإنّما وجد فيها زيد أمس فوجب أنّ عمرًوا انّما أوجد فيها أمس فإن قيل ليس قد وجدتم الباقى الذى ليس بمنتقض لا يخلو ممّا لا يبقى وينقضى ولا يوجد بعده متعريًا منه فما أنكرتم أنّ القديم الذى لم يزل لا يخلو من حادث ولا يوجد سابقًا له متعريًا منه قيل المعارضة فاسدة من قبل أنّه ليس ممّا لا يبقى وينقضى عروضًا للحدث او المحدَث وانّما عروض ذلك لم يبقَ وانقضى وذلك أنّ قولك لا يبقى

وينقضى الحالة على وقت يأتى به يستحقّ الحكم بأنّه مُنقضٍ غير باقٍ فلم يكن منكرًا لان يقارن الباقى حتّى لا يخلو منه اذ لم يُسبَق بالوصف المضادّ لوصفه وقولك قد حدث حكم قد وجب له فى وقته لا ينتظرَ وجوبه فى وقت فاستحال أن يقارن القديم حتّى لا يكون [f° 25 v°] القديم سابقًا له فإن قيل فاوجبوا أن يكون الباقى متغرّبًا ممن لم يبقَ وانقضى كما أوجبتم أن يكون القديم سابقًا للمحدثات موجودًا قبلها قيل ذلك يفعل وهو الواجب كما أنّه سابق للحوادث فكذلك يجب أن يكون باقيًا متأخّرًا عنها ومتى ما لم يكن كذلك لم يكن باقيًا كما أنّه لو لم يسبقها لم يكن قديمًا فإن قال اذا زعمتم أنّ المقارن للحوادث حوادث فما ينكرون أن يكون المقارن للحوادث أمس حادثًا أمس قيل لأنّا نقول أنّ الذى يقارن للحوادث حادث بالإطلاق ولكن نقول ما لم يسبقها فحادث مثلها والجسم فإن قارن الحوادث أمس كان موجودًا قبله فلذلك لم يجب أنْ يكون حادثًا معه وهذه يؤكد ما قلنا له كما وجب ان يكون ما لم يسبق الحادث أمس حادثًا أمس فكذلك يجب أن يكون ما لم يسبق الحوادث

بإطلاق حادثًا بالإطلاق فإن قيل أليس لم نشاهد والاجسام
مقارنة لحوادث إلّا وقد كانت موجودة قبلها مقارنة لحوادث
غيرها فهلّا زعمتم أنّ ذلك سبيلها وأنّها لم تزل كذلك قيل
هذا غير واجب لانّا وإن كنّا حكمنا بأنّ الأجسام التى
شاهدناها كانت متقدّمة للحوادث المقارنة لها مقارنة لغيره
فلم نحكم بذلك من طريق الوجوب ولا لأنّ الجسم انّما كان
جسمًا موجودًا لأنّه لا بُدّ من أن يكون متقدّمًا للحوادث
المقارنة لها مقارنًا لغيره لأنّ هذا حدّ[1] الجسم وحقيقته بل
إنّما حكمنا بذلك لأنّا لم نشاهد جسمًا حدث فى وقت
مشاهدتنا له ولأنّه صحّ عندنا بالخبر والدليل أنّ هذه
الأجسام التى شاهدناها قد كانت موجودة قبل مشاهدتنا لها
وصحّ ان الجسم لا يخلو من حادث ولو أنّا شاهدنا جسمًا فى
وقت لم نشاهده قبله ثمّ لم يَقُمْ لنا دليل على أنّه كان
موجودًا قبل تلك الحال ولا خبر صادق بذلك لما حكمنا
بأنّه قد كان موجودًا قبل الحوادث المقارنة له مقارنًا
لغيرها بل كنّا نخبر[2] ذلك ونخبر[3] ان لا يكون سبق ما

[1] Ms. احد.   [2] Ms. نحار.   [3] Ms. نحر.

هو موجود معه منها ، فإن قيل ولِمَ جوّزتم هذا وهلّا قضيتم
على كلّ جسم غاب أو حضر وردّ فيه خبرًا ولم يردّ قام على
تقدّمه دليل أو لم يقُمْ بمثل[1] ما شاهدتم عليه هذه الأجسام
وقضيتم بها عليها من تقدّمها الحوادث الموجودة منها ومقارنتها[2]
لغيرها وإلّا فكيف تزعمون[3] انكم تقضون بالشاهد على الغائب
قيل ليس القضايا بالشاهد على الغائب على ما ظننتموه لأنّه
ليس يجب اذا شاهدنا جسمًا على صفة من الصفات أن تقضى
كلّ جسم غاب عنّا كذلك انّما يجب اذا شاهدناه على صفة
ما أن يُنظر هل هو عليها من جهة الوجوب الذى هو حدّه
وحقيقته أم لا فإن كان كذلك قضينا على كلّ جسم
غاب عنّا بحكمه وإلّا فلا كما قلتم أنّ لا جسم فى الشاهد إلّا
مركّبًا من الطبائع الأربع ولا مركّبًا من الطبائع إلّا جسما ثم قلتم
بأن الافلاك من طبيعة خامسة ولم يشاهدوا ذلك فكذلك
اذا لم نرَ إنسانًا إلّا أبيض لم يجب القضاء بأنّ كلّ إنسان

[1] Ms. عثل.

[2] Ms. مقاربتها.

[3] Ms. يزعمون.

أبيضْ أو لم نَرَ رُمّانًا إلّا حلوًا لم يلزم أن لا يكون رُمّان إلّا حُلْوٌ وكذلك اذا لم نَرَ جسمًا مقارنًا لحادث إلّا وقد كان عندنا متقدمًا له مقارنًا لحادث غيره فلم يكن جسمًا لأنّه كذلك ولا ذلك حدّه بل حدّه أن يكون طويلًا عريضا عميقًا فلمّا لم يكن جسمًا لانّه يسبق الحوادث فيوُجد مع غيرها لم يجب أن يكون ذلك [٢٦ r° f°] حال كلّ جسم فى كلّ وقت وهذا ايضًا جواب قولهم إذا لم يَروْا أرْضًا إلّا ومِن ورائها أرض ولا بيضة إلّا من دجاجة ولا دجاجة إلّا من بيضة فكيف قضيتم بخلاف ما شاهدتم فيقال ليس حدّ البيضة أنْ تكون من الدجاجة ولا حدّ الدجاجة ان تكون من البيضة وانّما الدلائل قامت على حدثها فإن قال ولِمَ زعمتم ان الجواهر لا تخلو من ان تكون مجتمعة او متفرّقة قيل هذا من أوائل العلوم التى تُعرف بالبديهة ولا يعترض عليها بالشبه فإن قال ما الدليل على المجتمع اجتماعًا به كان مجتمعًا وللمفترق افتراقًا دونَ أن يكون مفترقًا ومجتمعًا بنفسه قيل لو كان مجتمعًا بنفسه لما جاز وجوده مفترقًا ما دام نفسه موجودة وكذلك المفترق فدلّ أنّ المجتمع مجتمع باجتماع وكذلك

الافتراق ، فإن قيل وما الدليل على الاجتماع والافتراق مُحدَثان قيل الدليل على ذلك أنّا نقصد الجسم المجتمع مفترقة فيوُجد فيه افتراق فلا يخلو ذلك الافتراق من أن كان موجودًا فيه قبل ذلك أو لم يكن فحدث فان كان موجودًا فيه فقد كان مجتمعًا مفترقًا وهذا محال فثبت انه حدث عند الافتراق وبطل أن يكون الاجتماع والافتراق كامنين فى الجسم فإن قال ما انكرتم أن يكون الاجتماعات والافتراقات لا نهاية لها وأنّه لا اجتماع إلّا وقبله اجتماع ولا افتراق إلّا وقبله افتراق قيل هذا فاسد لأنّه لو كان كذلك لما جاز أن يوجد واحدٌ منهما كما أنّ قاصدًا لو قصد إلى جماعة فقال لا يدخُلنّ هذا البيت أحدٌ منكم حتّى يدخله قبله آخر ما جاز أن يوجد واحدٌ منهم فى ذلك البيت ولو وجد كان فى ذلك انتقاض الشرط فإن قيل فما تنكرون أن يكون الاجتماع والافتراق خمسين قيل لو كانا كذلك لم يخلُ من أن يكونا مجتمعَيْن أو مفترقَيْن باجتماع وافتراق هما هما أو غيرهما فان كانا مجتمعين باجتماع هو هما استحال وجود الافتراق فيهما ما دامت أعيانهما قائمةً وان كانا مجتمعين باجتماع هو غيرهما

احتاج ذلك الاجتماع إلى اجتماع الى ما لا نهاية له ولا غاية وكلّ ما لا نهاية له ولا غاية فغير جائز وجود ما فى الحال منه وهذه مسئلة جارية منذ قديم الزمان ولقد رأيتُ اهل النظر يفخّمون أمرها ويرفعون من شأنها ووجدتها فى عِدّة كتب بألفاظ مختلفة فلم أجدها أكمل وأتمّ من قول ابى القاسم الكعبى فى كتاب أوائل الادلّة فانبتّ بها على وجهها وقد ثبت حدث العالم كما ترى فيجب أن يُنظر أأحدث جملةً واحدة وضربة واحدة أم شيئًا بعد شىء لأنّ ذلك كلّه مجوز فى العقل فإن اوجد كما هو فابتداؤه حدوثه وإن اوجد منه شىْ بعد شىْ فابتداؤه ما أوجد منه وليس ذلك الى العقل فيُعتمد ولكن سبيله السمع والخبر والناس مختلفون فيه القدمآء ومَنْ بعدهم من أهل الكتاب والمسلمون وانا ذاكر من ذلك ما رُوى ومُرجّح ما وافق الحقّ إن شاء اللّه عزّ وجلّ،

القول فى ابتداء الخلق قرأت فى كتاب منسوب الى رجل من القدمآء يقال له افلوطرخس[1] ذكر فيه اختلاف

[1] Ms. افلوطوخس.

مقالات الفلاسفة ووسمه بكتاب ما يرضاه الفلاسفة من الآرآء
الطبيعيّة حُكى عن تاليس الملطى[1] أنّه كان يرى مبدأ
الموجودات المآء منه بدأ وإليه ينحلّ وإنّما دعاه الى توهّم
[fo 26 vo] هذا الرأى أنّه وجد جميع الحيوان من الجوهر الرَطْب
الذى هو المنىّ فأوجب أن يكون مبدأ جميع الاشيآء من
الرطوبة ومتى ما عدمت الرطوبة جفّت وبطلت وحُكى
انّ فيثاغورس من أهل شاميا وهو أوّل ما سمّى الفلسفة بهذا
الاسم وتاليس أوّل من ابتدأ الفلسفة أنّه كان يرى المبادى
هى الأعداد المتعادلات وكان يسمّيها تأليفات وهندسيّات
ويسمّى من جملة ذلك اسطقسات ويقول الواحدة والثانية
لا حدّ لهما فى المبادى ويرى أنّ أحد هذه المبادى هى العلّة
الفاعلة الخاصّة[2] وهى اللّه عزّ وجلّ والثانى العقل والثالث
العنصر وهو الجوهر القابل للانتقال وعنه كان العالم المدرك
بحسّ البصر وأنّ طبيعة العدد تنتهى[3] الى العشرة واذا بلغها

[1] Ms. المطلى.

[2] Indication marginale : فى الاصل الحاصه.

[3] Ms. ينتهى.

رجع الى الواحد وأنّ العشرة بالقـوّة فى الآربعة وذلـك اذا اجتمَت الأعدادُ من الواحد الى الاربعة استكملت عدد العشرة وقـد ذكر ابن رزام هذا الفصل فى كتاب النقض على الباطنيّة قـال افلوطرخس وكذلـك كان الفيثاغوريون[١] يقولون فى الاربعة قسمًا عظيمًا ويأتون فى ذلك بشهادة الشِعْر إذْ يقولون لا وحقّ الرباعية التى تدبر أنفسنا التى هى أصلٌ لكلّ طبيعة التى تسيل دائمًا كذلـك النفس التى فينا مركّبة من أربعة اشيآء وهى العقـل والعلم والرأى والحواسّ ومنها تكون كلّ صنـاعة وكل مِهْنَة وبها كنّا نحس أنفسنا فـالعقل هو الواحدة وذلك أنّ العقل انّما يجرى وحده وامّا الثانية التى ليست بمحمودة فالعلم وذلك ان كلّ برهان وكلّ اقناع فمنه وأمّا الثالثة فالراى لأنّ الراى لجماعة والرابعة الحواسّ وحُكى عن برافليطس انّه كان يرى مبدأ كلّ شئ النار واليها انتهاؤها وإذا انطفأت النار يشكّل به العالم واوّل ذلـك أنّ الغليظ منه إذا تكاثف واجتمع بعضه الى بعض صار أرضًا واذا تحلّلت الارض وتفرّقت أجزاؤها بالنار صارت مآء والنار يحلّل الأجسام ويثيرها وحُكى عن

[١] Ms. القوياعوريّون.

انمامُس انــه كان يرى الهوآء أوّل الموجودات منه كان الكلّ وإليه ينحلّ الموجودات مثل النّفس التى فينا وانّ الهوآء هو الذى يحفظ فينا الروح والهوآء يُمسكان العالم كلّه والزوح والهوآء يقالان جميعًا لأنّ على معنى واحد قولًا متواطئًا وحُكى عن فيثاغورس[1] أنّــه كان يرى أنّ مبداء الموجودات هو المتشابــه الأجزآء وأن الكائنات يكون بالغذآء الـذى تغتذى بــه ومن هذه الكائنات يكون معنى المتشابــه الأجزآء وعنده أن الاشياء[2] يـدرك بالعقل لا بالحسّ وهى أجزآء الغذآء وانما سمّيت متشابه الأجزآء من أجل أنّ هذه الأعضآء المكوّنـة من الغذآء متشابهة بعضها يشبـه بعضًا فسمّيت متشابهـة الأجزآء وجعلها مبـادى الموجودات وصيّر المتشابه الأجزآء عنصرًا وحُكى عن ارسلاوس أنّـه يرى مبدأ العالم ما لانهايـة له وقـد يعترض فيه التكاثف والتخلخل فمنه ما يصير مآء ومنه يصير نارًا وحُكى عن اسقورس أنّـه كان يرى الموجودات أجسامًـا مدركة عقولًا لا خلآء فيها ولاكون سرمديّـة غير فـاسدة لا يحتمل التكسّر والتهشّم

[1] Ms. انفساغورس.

[2] Ms. الاسيآء.

ولا يعترض فى أجزائها خلاف ولا استحالة وهى مدركة بالعقل لا بالحواسّ وهى لا يتجزّأ وليس معنى قوله لا يتجزّأ أنّها فى غاية الصغر لكن لا تقبل الانفعال والاستحالة وحُكى عن انبادقليس أنّه [f° 27 r°] لا يرى الاسطقسات الأربع التى هى الماء والنار والهواء والأرض وأنّ المبدأ مبدآن[1] وهما المحبّة والغلبة واحدهما يفعل الإيجاد والآخر يفعل التفرقة وحُكى عن سُقراط بن سقرنقس وافلاطون بن آرسطو الإلاهىّ أنّهما يريان المبادئ ثلاثة[2] الله والعنصر والصورة زعم المفسّرون أنّ معنى قولهم الله هو العقل العالم ومعنى العنصر هو الموضوع الأوّل للكون والفساد ومعنى الصورة جوهر لا جسم فى التخييلات وحُكى عن ارسطاطاليس بن نيوماجس صاحب المنطق أنّه يرى المبادئ الصورة والعنصر والعدم والاسطقسات الأربع وجسم خامس هو الأمر غيرّ المستحيل وحُكى عن دنوهرماوس أنّه يرى المبادئ هى الله تعالى وهى العلة الفاعلة والعنصر المنفعل والاسطقسات الأربع فهذا جملة ما حكاه

[1] Ms. مبديان

[2] Ms. ثلاثه.

افلوطرخس[1] من أقاويل الفلاسفة فى المبادئ وزعم ايوب الرهاوى فى كتاب التفسير أنّ المبادئ هى العناصر المفردة يعنى الحرّ والبرد والبلّة واليُبْس فكُوِّنت النارُ من تركيب الحرّ مع اليبس وكُوِّن الهوآء من تركيب الحرّ مع البلّة وكُوِّن المآء من تركيب البرد مع البلّة وكُوِّنت الأرض من تركيب البرد مع اليبس فصارت هذه العناصر المركّبة ثم كُوِّن من تركيب هذه العناصر المركّبة الحيوانُ والنباتُ ،

ذكر ما حكى اهل الاسلام عنهم ، حكى زُرقان فى كتاب المقالات أنّ ارسطاطاليس قال بهيولى قديم وقوة معه لم يزل وجوهر قابل للأعراض وأنّ الهيولى حرّك القوّة فحدث البرد ثم حرّكها فحدث الحرّ ثم قبلهما الجوهر قال وشبّه إحداثَ[2] الهيولى الحركة بإحداث الانسان الفعل بعد أن كان غير فاعل له والفعل عَرَض وهو غير الانسان فكذلك الهيولى أحدث اعراضًا هى غيره ولا يقال كيف احدثها كما لا يقال كيف حدثت هذه الحركة من الانسان وحُكى [عن] جالينوس أنّه قال

[1] Ms. اقلوطوخس.

[2] Ms. باحداث.

بأربع طبائع لم ينفكّ العالم منها قال وقال سائر الفلاسفة
بأربع طبائع وخامس معها خلافها لولا هو لما كان للطبائع ائتلاف
على تضادّها قال وقال هرمس[1] بمثل مقالة هؤلآء فأثبت
العالم ساكنًا ثم تحرّك والحركة معنًى وهو زوال وانتقال والسكون
ليس بفعل قال وقال بلعم بن باعورآء العالم قديم وله مدبّر
يدبّره وهو خلافه من جميع المعانى واثبت الحركات فقال انّ
الحركة الأولى هى الثانية معاودة لأنّ من قوله أنّ الحركة مع
اصل العالم والعالم قديم عنده قال وقال أصحاب الاصطرلاب
بمثل مقالة بلعم إلّا أنّهم زعموا أنّ العالم لم يزل متحركًا بحركات
لا نهاية لها وأنكروا أن يكون، الحركة لها أوّلٌ وآخر لانّها ليست
بمحدثة قال وقال أصحاب الجُثّة أن العالم لم يزل مصوّرًا قديمًا
جُثّةً مُصْمتةً فانقلعت الجُثّة وكان الخلق كامنًا فيها فظهر على
نحو ما يظهر فى النطفة والبيضة والنواة قال وقال أصحاب
الجوهرة أنّ العالم جوهرة قديمة وأحديّة الذات وانما اختلفت
على قدر التقآء[2] الجوهرة وحركاتها فاذا كانا جزءين كانا حرًّا

[1] Ms. هومس.

[2] Ms. التقآء.

وإذا كان ثلثة أجزآء صار بردًا واذا كانت اربعة صارت رطوبة
وزعم أنّ حركة قبل حركة إلى ما نهاية وقد جمع الناشى مذاهب
هولآء كلّهم بلفظة واحدة فقال هم أربع طبقات فطبقة
قالت [f° 27 v°] بقدَم الطينة وحَدَث الصبغة وطبقة قالت بحدث
الطينة والصبغة وطبقة شكّت فلم تدرِ أقديمة هى أم حديثة
لتكافئ الأدلّة عندها وقد قال جالينوس وما علىّ أنْ لم أدرِ
أقديمة هى أم حديثة وما حاجتى الى ذلك فى صناعة للطبّ ،

ذكر مقالات الثنويّة والحرّانيّة أصل اعتقاد هولآء فى
الجملة أنّ المبدأ شيّان اثنان نور وظلمة وأنّ النور كان فى
أعلى العُلو وانّ الظلمة كانت أسفل السُفْل نورًا خالصًا وظلمةً
خالصةً غير مماسّين على مثال الظلّ والشمس فامترجا فكان
من امتزاجها هذا العالم بما فيه هذا الذى يجمع أصل عقائدهم
ثم اختلفوا بعد ذلك فزعم ابن ديصان ان النور خالق الخير
والظلمة خالقة الشرّ بعد قوله بأنّ النور حىّ حسّاس والظلمة
موات فكيف يصحّ الفعل من الموات ولما رأى من فنون ما
لحق المانويّة والديصانيّة من التناقض والفساد أحدث
مذهبا زعم أنّ الكونين النورىّ والظلامىّ قديمان ومهما شئ

قديم ثالث لم يزل خلافها وخارجًا عن خارجها وهو الذى حمل
الكونين على المشابكة والامتزاج ولولا ذلك المُعدّلُ بينهما لما
كان من جوهرها إلّا التباين والتنافر وزعم كنّان أنّ أصل
القديم ثلاثة اشيآء الارض والمآء والنار غير أنّ المدبّر لها اثنان
خير وشرّ، وامّا الحرّانيّة فمختلف عندهم فى الحكاية زعم احمد
ابن الطيّب فى رسالة له يذكر فيها مذاهبهم أنّ القوم مُجمعون
على أنّ للعالم علّة لم يزل ويقولون المدبّرات سبع واثناعشر ويقولون
فى الهيولى والعدم والصورة والزمان والمكان والحركة والقوّة
بقول ارسطاطاليس فى كتاب سمع الكيان وزعم زرقان أنّهم
يقولون مثل قول المانيّة وقال بعضم أنّ مذهب الحرّانيّة ناموس
مذهب الفلاسفة وما لم يكن يجسر أحدٌ أنْ يُظهر خلافهم، وأمّا
المجوس فأصناف كثيرة ولهم هوس عظيم وترّهات متجاوزة
الحدّ والمقدار لا يكاد يوقف عليها فبعضهم يقول بقول الثنويّة
وبعضهم على مذهب الحرّانيّة والخُرّميّةُ جنسٌ منهم يتستّرون
بالاسلام ويقولون مبدأ العالم نور وانّه نسخ بعضه فاستحال ظلمةً
وامّا اهل الصين فعامّتهم الثنويّة إلى كثير ممّن يليهم من التُرك
وفيهم المعطّلة الذين يقولون بقدم الأعيان وأنّ العالم لا صانع

لـه ولا مدبّر والهنود أصناف كثيرة وتجمعهم البراهمة والسمنيّة والمعطّلـة الأخرى يقولون بالتوحيد غير أنّهم يُبطلون الرسالـة ومنهم الماهادرزيّـة يزعمون أنّ المبدأ ثـلاثـة اخوة أحدهم مهادرز فـاحتال اخواه فى المكر بـه فعثرت بـه دابّته فسقط ميتاً فسلخا جلده وبسطاه على وجه العالم فصار من جلدتـه هذه الارض ومن عظامه الجبال ومن دمآئـه الأوديـة والأنهار ومن شعره الأشجار والنبات هذا مـا بلغنا من مذاهب سُكّان الأرض والقدمآء فى هذا الباب وقد أشرنا إلى فساد مذهبهم ومذهب مَنْ يقول بقدم العالم أو شىء مع الله تعالى بما فيه كفاية وغُنية وهذه الحكايات كلّها ان لم يكن شىء منها رُمزًا أو الغازًا أو تمثيلًا أو روايةً عن كتاب من كتب اللّه عزّ وجلّ أو رسول من رُسل الله أو بوفـاق ما جآء منهم أو بشهادة العقول قـاطبةً فمردودة غير مقبولة ومحمولة على تمويه واضعها وتزوير مبتدعها وليس فى كثرة التَرْداد والتكرار كثير فائدة ومتى مرّنْتَ نفسك على تحفّظ مسئلة إحداث العالم استغنيتَ عن كثرة الخوض فى الفروع التى بُنِيَتْ على أصل القِدم [f 28 r°] لانّـه إذا وَهَى البنآء وضُعف لم يَثْبُت فروعُه ولا قـامت أركانه ،

ذكر مقالات أهل الكتاب فى هذا الباب ، قرأتُ فى كتاب
موسوم بشرائع اليهود أنّ جماعةً من علمائهم نهوْا عن التفحّص
عن هذا الباب والشروع فيه وزعموا انّـه لا ينبغى للانسان أن
يبحث عمّا يتعجّب منه ويخفى عليه وزعم بعضهم انّ الشىء الذى
خلقه الله تعالى فى الابتدآء سبعة عشر شيـًٔا خلقها الله بلا نُطق
ولا حركة ولا فكرة ولا زمان ولا مكان وهى المكان والزمان
والريح والهوآء والنار والمآء والارض والظلمة والنور والعرش
والسموات ورُوح القـدس والجنّة وجهنم وصُوَر جميع الخلائق
والحكمة قـال ومخلـوقـه ذو جهات ستّ وهو محصور بين
هذه الجهات التى هى الأمام والخَلف والعُلو والسفل واليمين
والشمال وزعم بعضهم أنّ أوّل ما خلق الله سبعة وعشرون شيـًٔا
فذكر هذه السبعة عشر وأضاف اليها كلام موسى الـذى سمعه
وجميع مـا رأتـه الانبيآء والمنّ والسلوى والغمام والعين التى
ظهرت لبنى اسرائيـل والشياطين واللباس الـذى ألبس آدم
وحوّآء وكلام الجبّار الـذى كلّم بـه بلعام هكذا الحكايـة
عنهم والمسطور فى أوّل سِفر من التورية بالعبرانيّة * برشت مارا
الوهيم اث هشومائم واث هو اورس وهو اورس هو تنو توهم

وحوشخ على هى تهوم* يقول أوّل شىء خلقه السمآء والأرض وكانت الأرض جزيرة خاوية مظلمة على الغَمْر وريح الله يزفّ على وجه الأرض كذا فسّره المفسّرون فلا أدرى كيف خالفته الحكاية عنهم ضمن التورية ولعلّ بما ذكروه فى بعض أسفارهم لأنّ التورية مشتملة على عدّة كُتُب من كتب الأنبيآء والله اعلم وامّا النصارى فدينهم فى هذا دين اليهود لانّهم يقرءون التورية ويقرّون بما فيها والصابئون محرون فى مذهبهم فأكثر الناس على انّ دينهم بين دين اليهود والنصارى فإن كان كذلك فقولهم قولهم وحكى زرقان أنّ الصابئين يقولون بالنور والظلمة على نحو ما يقوله الثانيّة والله اعلم ،

ذكر قول أهل الاسلام فى المبادئ وما جآء من الروايات فيها ،

حدّثنا الحسن ابن هشام ببَلدٍ قال حدّثنى ابرهيم بن عبد الله العَبْسىّ حدّثنا وكيع عن الأعمش عن أبى طبيان عن ابن عباس رضى الله عنه قال أوّل ما خلق الله من شىء القلم قال اكتب فقال اى ربّى وما اكتب قال القَدَر فجرى القلم بما هو كائن من ذلك اليوم الى يوم القيامة قال ثمّ خلق النون فدحا الأرض عليها فارتفع بخار المآء ففتق منه السموات فاضطربت النون

فمارت الأرض فأثبتت بالجبال وان الجبال تنفجر على الأرض
الى يوم القيامة وحدّثنا عبد الرحمن بن أحمد المروزىّ بمرو حدّثنا
السرّاج محمد بن اسحق حدّثنا قتيبه بن سعد حدّثنا خالد بن
عبد الله بن عطآء عن ابى الضحا عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه
قال أوّل شىء خلق الله تبارك وتعالى القلمُ فقال له اكتب
ما يكون الى يوم القيامة ثم خلق نون فكبس عليها الأرض
يقول الله تعالى نون والقلم وما يسطرون وحدّثنى محمّد بن
سَهْل باسوار حدّثنا ابو بكر بن زيّان حدّثنا دعه عيسى بن
حمّاد [f° 28 v°] عن اللَيْث بن سَعْد عن ابى هانىء عن ابى عبد
الرحمن البجلى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلعم أنّه
قال كتب الله قادِر[1] كلّ شىء قبل أن خلق السموات والأرض
بخمسين ألف عام وقد اختلفت الروايات عن ابن عبّاس رضى
الله عنه فروى عنه اوّل ما خلق الله القلم وروى عنه سعيد بن
جُبير أوّل ما خلق الله العرش والكرسىّ وروى أوّل ما خلق الله
النور والظلمة وروينا خلاف ذلك كلّه عن الحسن انّه قال
اوّل ما خلق من شىء العقلُ ورُوى عنه أوّل ما خلق الله

[1] Note marginale : كذا فى الأصل .

الأرواحِ وفى رواية ابى الوليد عن ابى عوانـه عن ابى بشرٍ عن مجـاهد قـال بـدء الخلـق العرش والمـآء والهوآء وخُلقت الأرض من المآء وحدّثنى حاتم بن السندىّ بتكريت حدّثنـا احمد بن منصور الرمادىّ عن عبد الرزّاق عن معمر عن الزُهرى عن عُروة عن عائشة رضى الله عنها قـالت قـال رسول اللـه صلعم خُلقت الملائكة من نور وخُلق الجانُّ من مارجٍ من نار وخُلق آدم كما وصف لكم وامّا حديث حماد بن سلمة عن يعلى بن عطا عن وكيع بن حُرس عن عمّه ابى رزين العقيلى انّـه قـال قلتُ يا رسولِ الله أين كان ربّنا قبل أن خلق السموات والأرض قـال كان فى عمآءٍ ما تحته هوآء ولا فوقه هوآء ثم خلق عرشه على المآء فـإنـه ان صحّ وصحّ تـأويل من تـأوّل العمآء السحاب والغمام دلّ أن خلق الغمام المذكور فى الخبر والقرآن كان قبل خلق السموات والارض وقد روى انّ النبى صلعم قـال كتب الله كتاباً قبل أنْ يخلق الخلق بألفَىْ عام [1] ووضعه على العرش فـإن صحّت الروايـة دلّ أنّ خلق العرش كان قبل سائر الخلق وفى كتاب ابى حُذَيفة عن حبير عن الضحّاك عن ابن عبّاس رضى

[1] Interpolation dans le ms. : سبقَتْ رحمتى غضبى.

الله عنه أنّ الله لما أراد أن يخلق المآء خلق من النور ياقوتةً
خضرآءَ ووصف فى طولها وعرضها وسمكها ما الله به عليم قال
فلحظها الجبّار لحظةً فصارت مآءً يترقرق لا يثبت فى ضحضاح
ولا غير ضحضاح يرتعد من مخافة الله ثم خلق الريح فوضع المآء
على متن الريح ثم خلق العرش فوضعه على متن المآء فذلك
قوله تعالى وكان عرشه على المآء وروى عبد الرزّاق عن معمر
ن الأعمش عن ابن جُبير قال سألتُ ابن عبّاس رضى الله
عنه عن قوله تعالى وكان عرشه على المآء فعلامَ كان المآءُ قبل
أن يخلق شيئًا قال على متن الريح فإن صحّت الرواية عن
الضحّاك دلّ أنّ النون قبل خلق المآء وامّا محمّد بن اسحق
فإنّه يقول فى كتابه وهو أوّل كتاب عُمِلَ فى بدء الخلق
لقول الله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستّة
أيّام وكان عرشه على المآء فكان كما وصف نفسه تبارك وتعالى
إذ ليس إلّا المآء عليه العرش ذو الجلال والإكرام والعزّة
والسلطان فكان أوّل ما خلق النور والظلمة ميّز بينهما فجعل
الظلمة ليلًا أسوَدَ مظلمًا وجعل النور نهارًا مُضيئًا مبصرًا ثم سمك
السموات السبع من دخان المآء حتّى استقللنَ ثم دحا الأرض

وأرساها بالجبال وقدّر فيها الأقوات ثم استوى الى السمآء وهى
دخان، لا يختلف أحد من المسلمين ومَنْ يدين الله بالكتاب
والرسالة انّ ما دون الله تعالى مخلوق مُحدَث وإن لم يذكر
خلقه وإحداثه وانّما مرادنا أن نعرف أوّل ما خلق الله منه إن
كان ذلك ممكنًا منه اختلف الرُواة عن وهب بن منبّه وغيره
من منى [f° 29 r°] أهل الكتاب فروى عن عبد الله بن سلام انّه
قال خلق الله نورًا وخلق من ذلك النور ظلمةً وخلق من
تلك[1] الظلمة نورًا وخلق من ذلك النور مآء يخلق من
ذلك المآء الأشياء كلّها وعن وهب بن منبّه قال وجدت
فيما أنزل الله على موسى بن عمران عليه السلم أنّ الله لمّا أراد
خَلْق الخلق خلق الروح ثم خلق من الروح الهوآء ثم خلق
من الهوآء النور والظلمة ثم خلق من النور المآء ثم خلق النار
والريح وكان عرشه على المآء وسمعتُ بعض الشيعة يزعمون أنّ
اوّل ما خلق الله نور محمّد وعليّ ويروون فيه رواية والله اعلم
بحقّها وقد ذكرت حكمآء العرب ومن كان يدين الله
منهم بدين الانبيآء فى أشعارها وخطبها كيف كان مبدأ الخلق

[1] Ms. ذلك.

فمنه قول عدى بن زيد العبادىّ وكان نصرانيًّا يقرأ الكتب [بسيط]

اسمع حديثًا كى يومًا تجاوبه عن ظهرغيب إذا ما سائلٌ سألا

ان كيف أبدى إلهُ الخلق نعمته فينا وعرّفنا آياته الأُولا

كانت رياحًا ومآءا ذا عُرانيةٍ وظلمةٌ لم يدع فتقًا ولا خللا

فأمر الظلمة السوْداء فانكشفت وعزل المآء عما كان قد شغلا

وبسط الأرض بسطًا ثمّ قدّرها تحت السمآء سوآءا مثل ما فعلا

وجعل الشمس مصيرًا لاخفآء به بين النهار وبين الليل قد فصلا

قضى لستّة أيام خلائقه وكان آخر شىء صوّر الرجُلا

وقد حكى الفُرس عن علمآء دينهم وموبذيهم أوّل ما خلق الله السموات والأرض ثم النبات ثم الانسان،

ذكر تصويب أرجح المذاهب، أقول انّ رأْىَ من رأى تقديم[1] أحد الأركان على غيره هو مُحتلّ واهٍ لأنّهم يختلفون فى الاستحالة والفساد وكيف يصحّ على رأى تاليس المآء وهو عنده مستحيل من الأرض وعلى رأى براقليطس[2] النار وهى مستحيلة عنده

[1] Ms. بقدم. [2] Ms. براطيطس.

من الهوآء وكذلك سائر الأركان أم كيف يجوز عندهم تولّد حيوان أو تركّب نبات من غير اجتماع هذه الأخلاط الأربع فيها لأنّ ما تفرّد بطبع واحد لا يوجد منه غير حركته الطبيعيّة أو من زعم بابتدآء البسائط ثم العناصر المركّبة فإنّه يفحش قوله لأنّ البسائط أعراض لاتقوم بذواتها ولا بُدّ لها من حامل فكيف يصحّ وجودها بلا حامل وكذلك من زعم النور والظلمة لأنّهما عرضان لا جسمان والأصحّ على مذهب هولآء ما رأى انبادقليس من تقدّم الاسطقسات الأربع وفساد هذا ظاهر عند المسلمين بأن الاسطقسات لا تخلو أن تكون أعراضًا فإن كانت أعراضًا فالعرض لا يقوم بنفسه أو يكون أجسامًا وحدّ الجسم ما ذكرناه واثر الحدث مقارن له أو يكون لا أجسامًا ولا اعراضًا فهذا غير معقول عند المسلمين إلّا البارئ جلّ جلاله فانّه خلاف خلقه من جميع الوجوه وإذا لم تكن [٣٠ 29 r] اجسامًا ولا أعراضًا عندهم فلا بُدّ أن يكون هو الهيولى الموهوم فى مذهبه وهذا شئ لو كان موهومًا لما جاز وقوع الاختلاف فيه إلّا من مُعاند كما لا يجوز وقوع الاختلاف فى المعقول إلّا من معاند مع أن الوهم لا يحصر ما لا حدّ له ولا صفة من

لَوْن أو مقـدار أو شئ من الأعراض المحسوسة وجملـة هـذا القول فى هذا الباب مراعاة اثر الحدث فيما سوى البارئ جلّ جلالـه فـاذا ثبت ذلـك عُلم أن ما كان محدثًا فلا بُدّ له من ابتدآء واذا كان لا يقول بحدث العالم إلّا الموحّدون لم يوجد ابتدآء ذلك إلّا من جهتهم وهم يختلفون فى الرواية عن علمآئهم فى الظاهر ومتّفقـون فى المعنى إذا انعموا النظر فـامّـا اهـل الكتاب وما حُكى عنهم فمحتمل غير أنّه لا يجوز القطع بـه ما لم يصدّقه كتابنا أو خبر نبيّنا صلعم لما وقع فيهم من التحريف والتبديل ولأنّه خلاف ما ذكر فى اوّل التورية فى ابتدآء الخلق فـالذى يوجبه العقل أن يكون مكان كلّ متمكّن سابق له وان لا يحل حركة إلّا فى جسم ولا يوجد إلّا فى زمان وان لا يصحّ فعل اختيار وتدبير إلّا من حىّ عالم وان لا يحدث شئ إلّا من شئ وانّ الأركان الاربع سابقة للأجسام فمن قـال بقدم هذه المذكورات دخل فى جملة المخالفين ونقضت عليه آثار الحدث فيها ومذهبه ومن قـال بحدثها فما حاجته الى تقديم ما قـدّم منها وقـد أقرّ بأنّ الله أحدث الزمان من غير زمان والمكان فى غير مكان والاركان من غير أركان اللهمّ إلّا ان يُعمد فيه شيـًٔا

من كتب الله فليس يجد فى كتاب أوّل ما خلق ما هو فيقضى
على ما خالفه بالردّ والإنكار ولابُدّ لكلّ حادث من غاية ينتهى
إليها كقولنا الساعة من اليوم واليوم من الاسبوع والاسبوع
من الشهر والشهر من السنة والسنة من الزمان والزمان من
الدهر فقد انتهى الى الزمان والزمان غايته وكما نقول فلان من
فلان وفلان من فلان كما ترفع مثلًا نسب رسول الله صلعم الى
آدم ثم يقال وآدم من تراب فالتراب آخره وكذلك سائر
الاشيآء الحادثة لابُدّ لها من غاية هذا ما يباينه ويشاهده
فلذلك وضعنا ما روينا عن أهل الكتاب على وجه الاحتمال
فقد ذهب بعض أهل الاسلام الى أنّ أوّل ما أُحدث الزمن
العلوىّ وهو وقت يظهر فيه الفعل ليس السُفلى الذى هو من
حركات الفلك ثم المكان الذى هو غير متجزّئ ولا متماسك
وهو فضآء وبسيط ذاهب خلآء مُحيط بالعالم قال وليس الهوآء
من الفضآء فى شىء لأنّ الهوآء جسم متجزّئ ومنتشر وليس
الخلآء بمتجزّئ ولا محسوس ومعنى قوله التجزّئ انّ الخلآء لا
يدخل العالم منه شىء الا يتخلّله بتّةً والهوآء ما بين السمآء
والأرض ولا يخلو منه شىء والخلآء ما فيه السمآء والأرض

والهوآء ثم الأجسام بأعراضها كذا رأيت فى بعض كتبهم والله اعلم فاذا سأل سائل عن ابتدآء الخلق فجوابه أنّ ما دون الله مخلوق نِعْمَ سؤالك عن العالم العُلوىّ أم العالم السُفلىّ أم عن الآخرة الموعودة أم عن الدنيا الفانية [f° 30 r°] لأنّ كلّ شىء من هذه الاشيآء ابتدأ منه ابتدآء ونشوء فإن قيل هل غير الدنيا والآخرة شىء قيل العرش والكرسىء والملائكة واللوح والقلم وسدرة المنتهى مخلوقة كلّها ولا تعدّ[1] من الدنيا ولا من الآخرة وكذلك الجنّة والنار والصراط والميزان والصُور والأعراف والرحمة والعذاب مخلوقة عند كثير من الأُمّة ثمّ من بعدهم من أهل الكتاب ولا يُعدّ من الدنيا ولا من الآخرة فإن قيل فقد قال الله تعالى فللّه الآخرة والأُولى ولم يذكر شيئاً غيرهما قيل ولِمَ يذكر الاشيآء غيرهما مع أكثر أهل التفسير يقولون معناه للّه الحكم فى الآخرة والأُولى وقد قال رسول اللّه صلعم ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا إلّا الجنّة والنار لانّه لا شىء غيرهما وانّما يصحّ هذا اذا عُرفت الدنيا والآخرة ما هما على انّه لا عتب.

[1] Ms. يعدّ.

على من عدّ ما ذكرناه من أمر الآخرة ولا مضايقة فيه بعد أن اعتقدها كما جآءت به كتب الله وينبغى أن يعلم أنّ كلّما دون الدنيا روحانىّ حيوانىّ خُلق للبقآء والخلود على الأبد لا يجوز عليه الانحلال والدثور بقول الله تعالى وإنّ الدار الآخرة لهى الحيَوان لو كانوا يعلمون ،

ذكر أوّل ما خُلق فى العالم العلوىّ من الحيوانات يدلّ على أنّ أوّل ما أوجده الله تعالى القلم واللوح على رواية ابى ظبيان عن ابن عبّاس ثم العرش والكرسىّ على رواية مجاهد وقد قال قائلٌ أنّ أوّل ما خُلق الرُّوح والعقل على رواية الحسن لأنّ فى رواية ابن عبّاس انه قال للقلم اكتب فقال اى ربِّ وما اكتب والأمر فى الحقيقة والجواب لا يصّح الّا من حىّ عاقل قال ثم الحجب ومنها الغمام والنور والملائكة ثم الرحمة والعذاب يعنى الجنّة والنار والصراط والميزان وغير ذلك ممّا ذُكر وأوّل ما خلق فى العالم السفلىّ من الحيوانات المآء والهوآء كما قال مجاهد وخُلقت الأرض من المآء فهذه أركان العالم ثم النور والظلمة ومن الناس من يفرق بين النور العلوى

والنور السفلي بأنّ هذا جسم لطيف وذلك روح خالص مع
اختلافهم فى الروح أجسم هو أم غير جسم وسيمرّ بك فى
بابه مشروحًا مفسّرًا ان شاء الله عزّوجلّ فاذا سأل سائلٌ
مِمَّ خُلق الخلق قيل ان الخلق اجزاء مختلفة فمن أىّ جزء
من اجزآء الخلق سؤالك ولن يجاب حتّى يشير الى ما
أردنا فإن سأل عن الأرض قيل من زبد المآء كما جآء
فى الحديث والخبر وان سأل سائلٌ عن السمآء قيل من
دخان المآء وان سأل عن الكواكب قيل من ضوء النهار
وان سأل عن الأركان المركّبة قيل من البسائط المفردات
وان سأل عن البسائط قيل يمكن أنّ يكون خُلقت ممّا
خُلق قبلها ويمكن ان يكون خلقت لا من شىء لانّا نرى الله
يخلق الشىء من الشىء ويخلق من لا شىء وقد دلّلنا على أن
لا شىء غير الله تعالى إلّا مخلوق وانّ الله ابتدعه بَدِيًّا
لا من شىء كما شاء ما لا حاجة الى إعادة القول فيه
بقول الله تعالى بديع السموات والأرض وقال الله خلق كلّ
دابّة من مآء وقال الله خلقكم من نفس واحدة وقال
خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجانّ من مادج

من نار مع سائر ما وصفتُ انه خلقه من خلقٍ خَلَقه قبلَه [v° 30 r°] وكذلك يفعل الشيء بسبب ويفعله بلا سبب موجب قال الله تعالى وانزل من السمآء مآء فاخرج به من الثمرات رزقًا لكم فأخبر عزّ رجلّ انه جعل سبب اخراج الثمر والنبات إنزال المآء وكذلك جعل سبب كون الانسان النطفة وسائر ما يوجده ويحدثه وقد أوجد أمّهات هذه الاسباب بغير سبب موجب لها بل بقدرته وحكمته وان سأل سائل فيمَ خلق قيل فيمَ سؤالٌ عن المكان ولا مكان الّا وهو مفتقر الى مكان وقد سبقت الدلالة على فساد الحلول بما ليست له نهاية فلو قال القائل أنّ العالم لا فى مكان لكان قولًا لأنّه ليس بأعجب من إقراره بإيجاد الأعيان لا من غير سابقة وقد قيل انّه فى خلآء وهو مكان له وزعم آخرون أن العالم بعضه مكان لبعض وفى كتاب وهب بن منبّه ان السموات والجنّة والنار والدنيا والآخرة والريح والنار كلّها فى جوف الكرسىّ فإن صحّت الرواية كان الكرسىّ مكانًا لهذه الأشيآء والله اعلم وأحكم،

وان سأل كيف خلق قيل كيفَ سؤالٌ يقتضى التشبيه فى الجواب وليس نعلم العالم مثلًا غيره فنشبّهه بـه ولكنّا مشاهدين له عند احداثـه ولا فعل الله تعالى بحركة ولا معالجة والكيفيّة منتفية عن فعله كما هى منتفية عنه سبحانـه فإن اردتَّ كيف أوجده من عدم فكيف تراه اجسامًا وجواهر حاملة للأعراض قال لـه كن فكان كما أخبرنا عنه وإن اردتَّ شكلًا وهيئةً لفعلـه فهذه من حالات الأعراض التى تتعاقب على المخلوقين فإن سأل سائل متى خُلق قيل متى سؤالٌ عن المُدّة والوقت من الزمان والمدّة عندنا من حركات الفلك ومَدَى ما بين الأفعال وقد قامت الدلالـة على حدث الفلك ولا يُطلق المسلمون القول بأنّ الله تعالى لم يزل يفعل لانّ ذلك يوجب ازليّة الخلق ويؤدّى الى قول من يرى المعلول مع العلّة حتى يكون بين فعل سابق له الى انّ فِعْل العالم مُدّةً وقد زعم بعض الناس أنّه أحدث زمانًا أوجد فيه العالم كمن قال انّه احدث مكانًا أوجد فيه العالم فقال قومٌ الزمان ليس بشىء وإن سأل سائل لِمَ خلق قيل لِمَ سؤالٌ عن العلّة الموجبة للفعل وفاعل ذلك مضطرّ غير مختار والمضطرّ مقهور مغلوب ولا يجوز ذلك فى

صفة القديم فـإن اردتَّ بالعلّـة الغرض المقصود فى الخلق فهو مـا ذكرناه فى اوّل هذا الفصل انـه خلـق الخـلـق لرأفتـه ورحمتـه وجوده وقدرته لينفعهم وليأكلوا من رزقـه وليتقلّبوا فى نعمتـه ويستحقّوا شرف الثواب بطاعتـه ،

الفصل السادس

فى ذكر اللوح والقلم والعرش والكرسىّ والملائكة والصُور والصراط والميزان والحوض والاعراف والثواب والعقاب والحُجب وسدرة المنتهى وسائر ما يرويه الموحّدون ممّا يُعدّ من أمور الآخرة واختلاف من اختلف فيها ،

ذكر اللوح والقلم قال الله تعالى فى محكم كتابه نٓ والقلم وما يسطرون وقال فى كتاب مكنون لا يمسّه الا المطهّرون وقال وكلّ شئ [f° 31 r°] احصيناه فى امام مبين وقال ما فرّطنا فى الكتاب من شئ وقال فى لوح محفوظ قال أكثر المفسّرين انّه لوح وقلم خلقهما الله كما شآء وألهم القلم أن يجرى بما أراد وجعل اللوح واسطةً بينه وبين ملائكته كما جعل الملائكة واسطةً بينه وبين رُسُله ورسلَه واسطةً بينه وبين خلقه وهذا لا يختلف فيه موحّدٌ ولا يسوغ الاختلاف فيه لظاهر

النصّ من الكتاب والسُنّة فإن خطر خاطرٌ بأنّه أيّةُ فائدة فى اللوح والقلم فليقل له بأنّ أسرار حكمة الله عزّ وجلّ عن العباد محجوبة إلّا ما أطلعهم عليه وما طوى عنهم فليس إلا التصديق به والاستسلام له لقول الله عزّ وجلّ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب واعلم ان الكلام فى هذا الفصل مع من يؤمن باللّه وملائكته وكُتُبه ورُسُله لأنّ هذا سبيله سبيل الخبر والسمع والمسلمون وأهل الكتاب قاطبةً قد تلقّوه بالقبول وقد قال قائلٌ أنّ اللّه تبارك وتعالى لمّا أراد ان يخلق الخلق علم ما هو كائن وما هو مكوّنه فأجرى القلم به فى اللوح وروى فيه اخبار مسطّرة فى كُتب أهل الحديث رضينا بما صحّ منها واستسلمنا له وجآء فى ذلك القلم أن طوله ما بين السمآء والأرض وأنه خلق من نور وفى صفة اللوح أنّه لوح محفوظ طوله ما بين السمآء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب معقود بالعرش يصُكّ ما بين عينَىْ اسرافيل وهو أقرب الملائكة إلى العرش فإذا أراد اللّه تبارك وتعالى أن يحدث فى خلقه شيئًا قرع اللوح جبهة اسرافيل فأطلع فيه فاذا فيه ما أراد الله تعالى بقول الله يمحو اللّه ما يشآء

ويثبت وعنده أمّ الكتاب فيأمر بـه جبرئيـل أو من يليه من الملائكـة وأكثر أهل الدين على أنّ البارئ لا يُسْمَع كما أنّـه لا يُلْمَس وإنّما يُسْمَع كلامُه كما يلمس خلقُـه هذا قول أهل الإسلام وقـد ذهب قومٌ من المتسترين بالـدين إلى تـأويلات مكروهاتٍ مردودات فزعم بعضهم أن معنى القلم العقـلُ لأنّـه دون البارئ جلّ وعزّ فى الرتبة وجرى بنفسه لأنّ العقل يدرك الاشيآء بغير واسطة قـال ومعنى اللوح المحفوظ النفسُ لأنّـه دون العقل فى الرتبة يـدبّرها العقل كما جرى القلم فى اللوح المحفوظ وزعم ان القلم واللوح غير محدَثين ولا مخلوقين وقـد دلّلنا على حَدَث العقل والنفس فى الفصل الثانى بما يجرى عليهما من الزيادة والنقصان والسهو والضعف والثقلة [1] والتجزّى بتفرّق الهيا كل والأجسام وحاجة العقل إلى التجربة والامتحان وحاجة النفس الى الغذاء والقوام ما فيه كفـايـة وبلاغ وذلـك أنّ القـديم البـارئ لا يجوز عليـه شئ من هذه العوارض وزعم آخرون ان اللوح هو العالم السُفلىّ والقلم العالم العُـلوىّ يؤثّر فى السفلىّ وبعضهم يزعم أنّ القلم هو الروح واللوح الجسد وأهوَن

[1] Ms. والنقلة.

الأمور انكار اللوح والقلم وسائر ما وصف من أمر الآخرة والدخول فى الإلحاد المحض حتّى يقع الكلام معهم من حيث ينبغى أن يقع لأنّ هذه الاشيآء من شرائع الأنبيآء عليهم السلم فكما لم يوجبها العقل فكذلك لا يردّ تأويلها إلى العقل بل تسلّم كما جآءت ، وفى رواية سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما انّ الله تعالى خلق لوحًا محفوظًا من دُرّة بيضآء دفّتاه ياقوتة حمرآء قلمه نور وكلامه برّ [f° 31 v°] ينظر اللّه فيه كلّ يوم ثلثمائة وستّين نظرة يُحيي بكلّ نظرة ويُميت بكلّ نظرة ويرفع ويضَعُ ويُعزّ ويُذلّ ويخلق ما يشآء ويحكم ما يريد والله اعلم واحكم وقد دلّلنا لك أنّ كلّ ما كان من امر الآخرة فروحانىّ حيوانىّ وإن شارك جسمانيًّا فى الأسامى فمن ذلك قوله دُرّة بيضآء وياقوتة حمرآء ،

ذكر العرش والكرسىّ وحملة العرش قال الله تبارك وتعالى وترى الملائكة حافّين من حول العرش وقال ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية فذكر العرش فى غير موضع من كتابه وقال وسع كرسيّه السموات والارض فلم يجز وقوع الاختلاف فيه بين المسلمين لظاهر شهادة الكتاب وانّما اختلفوا فى

التأويل فقال بعضهم أنّ العرش شبه السرير واستدلّوا على قولهم بقوله أيّكم يأتينى بعرشها وبقوله ورفع أبويه على العرش وكثير من أهل التشبيه يذهب الى انه كالسرير له وهو مذهب أهل الكتاب ومن كان من العرب بدينهم يدلّ عليه قولُ أميّة بن ابى الصلت [كامل]

شدّ التقطع على المطايا ربّنا كلٌّ بنعمآء الإله مقيّدُ

فاصحن[1] وافترش الرحائل شَرْجَعٌ نُفخ على اثباجهنّ مؤكّد

بفصوص ياقوتٍ وكظّ بعرشه هولٌ ونارٌ دونه تتوقّد[2]

فعَلَا طُوالاتِ القوائمِ فَاستوى فوق الجلود ومن أراد مخلّدُ

وقال ايضاً [خفيف]

مَجِّدُوا اللهَ وَهْوَ للمجد أهلٌ ربُّنا فى السمآء أمسَى كبيرا

ذلك الُمنشِئُ الحجارة والمَوْ تى وأحياهُمْ وكان جديرا

بالبنآء الأعلى الّذى سبق النا سَ وسوَّى فوق السمآء سريرا

شرجعاً لا يناله بَصَرُ النا س ترى دونه الملائكَ صُورا

[1] Note marginale : كذا فى الأصل.

[2] Ms. يتوقد.

وقال لبيد [كامل]

للّه نافلة الأجلّ الافضل ولهُ العُلَى ولبيتِ كلّ مُؤثَّلِ

سَوّى فأغلق دون غرفة عرشه سَبعًا طباقًا دون فَرْع المَعقِلِ

وقال كثير من المسلمين أنّ العرش شيءٌ خلقه الله لمنتهى علم عباده وتعبّد الملائكة بتعظيمه والطوافِ حَوْلَهُ ومسئلتِهِ الحوائج عنده كما تعبّد الناس بتعظيم الكعبة واستنجاح الحوائج لديها والصلوة[1] له اليها لا أن يكون ذلك مكانًا له أو حاملًا جلّ وتبارك البارئ ان يكون محمولًا او محدودًا او مُحاطًا وبعضهم يقول العرش المُلك ويتأوّل قوله الرحمن على العرش استوى قال استولى على الملك واحتجّ بقول الشاعر [طويل]

اذا ما بنو مروانَ ثُلَّتْ عُروشُهم وأَوْدَتْ كما أَوْدَتْ إياد وحِمْيَرُ

[f° 32 r°] واما الكرسىّ فخلقٌ مثل العرش وقد رُوينا عن الحسن أنّه قال الكرسىّ هو العرش وجآء فى بعض الروايات أنّ الكرسىّ بين يدى العرش كدرّة بأرض فلاة والسموات السبع.

[1] Ms. الصلاة.

والأرضون السبع وما فيها بجنب الكرسىّ كحلقة من حلق الدرع فى أرض فيحاء ومن المسلمين خَلْقٌ كثير يذهبون إلى أنّ الكرسىّ هو العِلْم واستدلّوا بقوله تعالى وسع كرسيّه السموات والأرض قالوا معناه أحاط علمُه بها وبما فيها والكراسى العلماء وانشدوا بيتًا [طويل]

تحفّ بهم بيض الوجوه وعُصبَةٌ كراسىّ بالاحداث حين تَنُوب

وقد روى أصحاب الحديث أنّ الكرسىّ موضع القَدَمين واللّه أعلم بصدقه وتأويله إن صحّ لأنّ مذهبنا تسليم ما قصُر عنه علمنا ، وأمّا حملة العرش الملائكة خُلِقوا لذلك فيُوصَف من اقدارها واجسامها ما اللّه به عليم قالوا وهم اليوم اربعةٌ وجهُ أحدهم على صورة وجه النسر والثانى كوجه الأسد والثالث كوجه الثور والرابع كوجه الرجُل فإذا كان يوم القِيٰمة ضُمَّتْ إليهم أربعة أُخرى بقول اللّه سبحانه ويحملُ عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانيةٌ وفى رواية ابى اسحق أنّ رسول اللّه صلعم أنشد قول أُميّة بن ابى الصلت [كامل]

جبس السرافيل الصّوافىَ تحتَه لا واهنٌ منهم ولا مُستوغِـدُ
رَجُلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يمينـه والنسرُ للأُخرى وليثٌ مرصدُ

فـقـال عليه السلم صدق هكذا الروايـة واللـه اعلم بصدقها وقد يستدرج أهل الزيغ الاغمار من الاحداث بالأوّل والثانى والثالث والرابع يعنون بالأوّل القلم وهو عندهم العقل وبالثانى اللوح وهو عندهم النفس وبالثالث العرش وهو عندهم الفلك المستقيم والضابط للأفـلاك وبالرابع الكرسىّ وهو فلك البروج عند بعضهم لأنّ المنجّمين مختلفون فى هـذا التقسيم والملائكـة الّـذين هم حملـة العرش الأركان الأربع وهذه الاشيآء عندهم لم تزل ولا يزال فكيف يصحّ الخبر عنها بالأوّل والثانى والثالث لأنّ كلّها أوائـل عندهم كما يزعمون وما الفرق بينهم وبين من عارضهم من المشبّهة بأنّ العرش ممهّد والكرسىّ مُسْتَقَرّ القدمَيْن مع وفـاق ظاهر اللفظ لتأويلهم لبُعده عن تـأويـل الزائغين لانّـا لم نجد شيـأً فى كتب المنجّمين وأهل الطبائع بـأنهم سمّوا العقل قلماً والنفس لوحاً والفلك عرشاً يعرفونها باسمآئها المشهورة عند سامعيها ونعوذ بـاللـه من الخزلان والحرمان وسوء الاختيار والعجز عن إتّباع الحقّ ؛

فى ذكر الملائكة وما قيل فى صفاتها، روى المسلمون أنّ الملائكة خُلقت من نور وذكر ابن اسحق أنّ أهل الكتاب يزعمون أنّ اللّه خلق الملائكة من نار والنار والنور واحد فى معنى اللطافة والضوء ويمكن التوفيق بين الخبرَيْن بأن ملائكة الرحمة خُلقوا من نور وملائكة العذاب خُلقوا من نار ولا نعلم أحدًا ممّن يدين الله بدين إلّا وهو مُقِرّ بالملائكة وان كانوا مختلفين فى قِدَمها وحدوثها وهيئاتها فمنه قول أميّة بن ابى الصلت [كامل]

يتشابه المتنصّفون بسُجرةٍ — فى ألفِ ألفٍ من ملائك[1] يحشدُ

[f° 32 v°] رُسُلٌ يجوبون السمآء بأمره — لا ينظرون ثوآء مَنْ يتقصّدُ

فهُمُ كأوب الريح بينا أدبرَتْ — رجعت بوادى وجهها لا تكردُ

خُذّ مناكبهم على أكتافهم — زُفّ يزفّ بهم إذا ما استنجدوا

وإذا تلاميذ الإله تعاونوا — غلبوا ونَشَطهم جناحٌ مُعتَدُ

نهضوا بأجنحة فلم يتواكلوا — لا مُبطئٌ منهم ولا مُسترغِدُ

واختلف المسلمون فى عدم البصر والحواسّ لهم فمن قائل أنّ

[1] Ms. ملائكة.

البصر يفقدهم[1] للطافة أجسامهم واجزآئهم لا لونَ لها البصر لا يدرك إلّا ذا لونٍ وكذلك قالوا أليس نحسّ بها وهى معنا حَفَظة علينا والهوآء أغلظ واكثف من الملائكة فإذا كنّا لا نُحِسّ به حادثًا من حركة واضطراب فكيف بالروحانيّين الذين هم ألطف وألطف وقالوا فيما ناقضهم المخالفون به من صفة الله إيّاهم فى كتابه بالغلظة والشدّة فقال ملائكة غلاظ شداد وما جآء من عظيم صفاتهم وعُظم أجسامهم وان الملك كان يأتى النبىّ صلعم وعلى آله فى صورة الرجل وكذلك سائر الانبيآء انه غير منكر ان يُحدث الله تعالى فى الملك شيئًا ومعنًى يُرى ويُشاهَدُ إذا أراد ذلك كما يحدث فى الجوّ فيتركّب وينعقد غمامٌ من أجزآء الهبآء لا يدركها البصر ثم ينحلّ ويتفرّق حتى لا يُرى كما كان أوّلًا وكذلك حال الجنّة والشياطين وسائر الروحانيّين من الخلق وايضًا فانّ الملك سُمّى هذا الاسم لدؤوبه فى الطاعة وانقياده لِما يُراد منه تخصيصًا وتفضيلًا فغير بعيد ان يكون الملائكة أصنافًا روحانيًّا وجسمانيًّا وناميًا وجامدًا وقد جآء فى بعض الأخبار أنّ

[1] Ms. تتقدهم.

الرعد مَلَك والنار ملك والملائكة يسجدون جنودُ الله ورُسُله وسفرآؤه واوليـآؤه بقول اللّـه عزّ وجلّ وللّـه جنود السموات والأرض وقيل الجراد جند من جنود الله والنمل جند من جنود الله ألا ترى أنّــه لمّا بلغ معاويـة انّ الاشتر قد أُمِر فسُقِى سمّاً فى سَوِيق وعَسَل قـال مـا أبردها على الفؤاد إنّ للّـه جنودًا من عسل وقيل الأرض ملك والسمآء ملك حتّى عدد اكثر أجسام العالم واحتجّوا بقول اللّـه عزّ وجلّ قـالتا اتينا طائعين والقـول هو الأوّل فـإن كان جائزًا إطلاق اسم الملـك على هذه الأشيآء فيكون مجازًا لا حقيقـةً ،

ذكر اختلاف الناس فى الملائكة مـا هى أمّا المسلمون وأهل الكتاب فيقـولون هم خلق روحانيّـون كما ذكرناه آنفًا وكان مشركوا العرب يزعمون انّ الملائكة بنـات اللـه وانـه صاهر الجنّ فولدت له قـال الله تعالى وجعلوا الله شركآء الجنّ وخلقهم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثًا وقـالت الحرّانيّـة الملائكة النجـوم وهى المدبّرات للعالم وهو أحدث الباطنيّـة فزعمت انّها سبعة واثنا عشرة وتـأوّلت قولـه عليهـا تسعة عشر والخُرّميّـة يُسمّون رُسُلهم الـذين يتردّدون فيما بينهم

ملائكة وامّا المجوس فلا يُنكرون الملائكة وانهم خلق غائب عنهم ويسمّونهم شتاسبندان فى ملّتهم الإقرار بهم والتصديق وزعم قوم انّ الملائكة هى النفوس الصافية وذلك انّ الإنسان اذا بالغ فى الارتياض [f° 33 r°] بمعرفة حقائق الاشيآء واجتهد فى اقتنآء الفضائل واختيار المحامد اتّصل بالعالم العلوىّ فصار عند مفارقة الهيكل عقلًا خالصًا ونفسًا صافيةً فيسمّونه حينئذٍ المَلَك قالوا واقصى الدرجات فى الأسفل النبوّة وهى تُنال بالعلم والعمل وفى الأعلى الملائكة وهى ينالها مَن نال النبوّة فى الأسفل وزعمت فرقة أنّ الملائكة أبعاضٌ من الله واجزآءٌ وعندهم أنّه تبارك وتعالى شئٌ بسيط روحانّى وسمّاهم أميّة فى شعره تلاميذ اللّه وأعوانه مع مقالات كثيرة متباينة وليس هذا الباب ممّا يُدرك بالعقل ولكنّه يُعرَف فإذا كان هذا سبيله فلا معنى لردّ ما سبيله الخبر إلى غير الخبر٠

ذكر صفات الملائكة روى ابن اسحق الواقدىّ أنّ النبى صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم قال ألا أحدّثكم عن مَلَكٍ من ملائكة الله أذن لى ربّى فى الحديث عنه قالوا بلى يا رسول

الله قال إنّ للّه ملكًا قد نفذ بقدمه الارض السُفْلى ثمّ خرج من هوآء ما بين ذلك حتّى أنّ هامته لتحت العرش والذى نفس محمّد بيده لو سُخّرت الطير فيما بين عُنُقه الى شحمة أذنه لخففت فيه سبعمائة عام قبل أن يقطعه وروى ابن جُريج عن عكرمة عن ابن عبّاس رضى الله عنه أنّ النبىّ صلعم قال لجبرئيل إنّى أُحبّ أن أراك فى صورتك التى تكون عليها فى السمآء قال لا تقوى على ذلك قال بلى قال فأين تُحب أن أتخيّل لك قال فى الابطح قال لا يسَعُنى قال بعرفات قال ذلك بالحَرّى فواعده[1] ذلك وخرج النبىّ صلّى الله عليه وعلى آله وسلم للوقت فاذا هو بجبرئيل قد اقبل من جبال عرفات وقد ملأ بين المشرق والمغرب وسدّ الخافقين رأسُه فى السمآء ورجلاه فى الأرض وله كذا ألف جناح ينتثر منها التهاويل فلمّا رآه النبىّ صلعم خرّ مغشيًّا عليه فتحوّل جبرئيل عن صورته الى صورة التى كان يأتيه فيها وهى صورة دُحية الكلبىّ وهو ابن خليفة بن فروة الكلبىّ فضمّه الى صدره فلمّا أفاق قال ما ظننتُ أن لله تعالى خلقا يشبهك قال يا

[1] Ms. فواعداه.

محمد فكيف لو رأت اسرافيل رأسه من تحت العرش ورجلاه
فى تخوم الأرض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ايتضال
احيانًا من مخافة الله تعالى حتّى يصير كالصعوة وما يحمل عرش
ربّك إلّا عظمته وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال انّ للّه
ملكًا البحار كلّها فى نقرة إبهامه وعن كعب الاحبار انه قال
ان للّه ملكًا السموات على منكبه يدور بها كما تدور الرحا
وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى صفة ملائكة العذاب
قال ما منهم ملك الّا ولو أمره الله أن يلتقم السموات
والأرض وما فيهما من شئ لهان ذلك عليه لما عظّم الله من
أجسامهم .وقد جآء فى صفة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
وصفة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وغير هولآء[1]
من الملائكة ما يعتقد المؤمن الايمان به والتسليم له وجآء
فى صفة حملة العرش أنّهم ملائكة قدرُ قَدَم أحدهم مسيرة
سبعة ألف سنة ولهم قرون كقرون الوعول وقيل العرش
على كواهلهم وقيل على مناكبهم ناشية فى العرش والله أعلم
وأحكم ، وروى ابو حُذيفة عن مقاتل عن عطآء انّ الله يبعث

[1] Ms. هاولآء.

جبرئيل كلّ يوم الى جنـة العدن فيغمس بجناحَيـه فى نهرها ثمّ يجيء فينفُضها [f° 33 v°] فيسقط من كلّ جناح سبعون ألف قطرة يخلق الله من كلّ قطرة ملكًا قـال وما يقطُر من السمآء الى الأرض قطرة الّا ومعها مَلَكٌ ينزل الى الأرض ثم لا يعود اليها قال وما فى السموات موضعُ شبرٍ إلّا وفيه مَلَك قائم أو ساجد او راكع لم يرفع رأسه منذ خُلِقَ فاذا كان يوم القيامة رفع رأسه فيقول سبحانـك ما عبدناك حقّ عبادتـك قـال ولله ملـك موكّل بـالبحار فـاذا وضع قـدمه فى البحر مدّ واذا رفعها جزر قـال والملائكة أربعة جبرئيل ملك الرسالـة واسرافيل ملك الصُور وعزرائيل ملك الموت وميكائيل ملك الرزق ورُوى عن علىّ بن ابى طالب رضى اللـه عنه انّـه قـال الرعد ملـك موكّل بالسحاب يسوقـه من بلد الى بلد معه كذا من حديـد كلّما خالفت سحابـة صاح بها والبرق مصمه السحاب بـه.وروى ابن الأنبارىّ فى كتاب الزاهر انّ السحاب ملك يتكلّم بأحسن الكلام ويبكى ويضحك والرعـد كلامه والبرق ضحكه والمطر بكاؤه وعن كعب لولا انّ اللـه وكّل بطعامكم وشرابكم فى نومكم ويقظتكم مَن يذبّ عنكم ليحفظكم بقول الله تعالى له مُعَقِّبات

من بين يدَيْه ومن خلفه يحفظونـه من أمر [الله] وروى هشام
ابن عمّار بن عبد الرحيم بن مطرف عن سعيـد بن سلمـة عن
ابان عن انس رضى اللـه عنـه انّ النبىّ صلعم قـال انّ للّـه
ملكًا لـه ألف رأس فى كلّ رأس ألف وجه فى كلّ وجه
ألف فم فى كلّ فم ألف لسان يُسبّح الله ويُقدّسه كلّ
لسان بألف لغة من التسبيـح فهذا ومـا أشبهه موقوف على
صحّة الخبر وصدق الراوى إذ ليس يمتنع عن البارئ سبحانـه
وتعالى شئ وما عسى أن يقولـه قـائل وهو مُصَدق بابتداع
الله أعيان هذا العالم لا من عين سابقـة فمن لم يعجز عن هذا
فليس عن أعجب منـه بعاجز واذا كانت أحوال الملائكة كما
وصفنا من إطلاق اسم الملائكة على الجماد والموات فغير بديع
ما حُكى عنهم وقـد قيل الريح ملك وقيل من نَفَسِ مَلَك
وأذكُرُ أنّى حاجّنى رجل من البهافريديـة [1] وهم صنف من
المجوس أطلبهم للخير وآلفهم عن الاذى فى دفننا موتانا ما تعنينا
بذلـك فقال انّ الأرض مَلَكٌ وانتم تلقمونـه الموتى فكيف
تستحسنون ذلـك وقـد يرى بعض النـاس انّ الشياطين كلّ

[1] Ms. البهاقردية.

شرّيرٌ داعرٌ[1] والملك كلّ خير فاضل ومذهب الدنابير ما حكيناه ووصفناه ،

القول فى الملائكة أمكلّفون أم مجبورون وهم أفضل أم صالحو المسلمين قال قوم هم مضطرّون الى افعالهم مجبورون عليها ورُوى عن ابن عبّاس انّه قال فى قوله يُسبّحون الليل والنهار لايفترون ان التسبيح لهم بمنزلة النفس لنا وقال آخر هم مكلّفون مجبورون لأنّ الله تعالى يقول ومن يقل منهم إنى إلهٌ من دونه فذلك نَجزِيه جهنّم ولايصحّ الوعيد على غير المقدور عليه وقد قال انّى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدمآء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون فدلّ هذا القول منهم على اختيارهم وقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ولولم يكونوا قادرين على المعصية لما كان يمدحهم بترك المعصية ومعنى قوله يسبحون الايل والنهار لايفترون مدح لهم على المواظبة على الطاعة أو لا يقطعهم عنها ما يقطع الناس من الحوائج والأشغال وقول ابن عبّاس رضى الله عنه انّ

[1] Ms. marg. كذا فى الأصل

التسبيح سهلٌ عليهم كالنفس [f° 34 r°] فى سُرعة المؤاتاة
والمطاوعة ويجوز ان يكون من تسبيحهم ما هو اضطرار ومنه
ما هو اختيار فان قيل اذا كانت الطاعة منهم باختيار فهل لهم
على ذلك من ثواب فمن قائل ان ثوابهم تقريب المنزلة
ورفع الدرجة وآخر انه زيادة القوّة على الطاعة وتجديد الجِدّ
والنشاط فى العبادة وآخر انه اخدامهم أهل الجنّة وليس
الثواب كلّه المطعمُ والمشربُ لانهم ليسوا بذوى أجسام
مجوّفة فيُلجئهم الحاجة الى ما يحتاج اليه ذوو الاجسام المجوّفة
وقد قيل أنّ ثوابهم ان يستجيب دعآؤهم فى الموحّدين وذلك
قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد
ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ
شىء رحمةً وعلمًا الآيةَ فطاعتهم مذ خُلقوا ان يستجاب فى
الموحّدين ولهم مسئلة وتضرّع وطاعتهم بعد ذلك بشكر
وبعرف[1] واختلفوا فى الملائكة وصالحى المؤمنين أيُّهم أفضل
فذهب كثير من المسلمين إلى تفضيل الملائكة واحتجّوا
بقوله تعالى قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب

[1] Indication marg. كذا فى الأصل.

ولا اقول لكم انى ملـك وقولـه تعالى فيما يحكى عن الشيطان
مـا نهاكما ربّكما عن هذه الشجرة الّا ان تكـونا ملكين
او تكونا من الخالدين وقول صواحب يوسف ما هذا بشرًا إنْ
هذا إلّا ملك كريم وقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
ما يُؤْمرون وقولـه تعالى يسبّحون الليل والنهار لايفترون وقولـه
ولقـد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البرّ والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلًا فلما لم يقُلْ على
من خلقنـا علمنـا ان هاهنـا من هو أفضل منهم قـالوا وهل
يستوى حال من لا يعصى قطّ وحال من لا يتعرّى عن معصيته
وكيف بفضيلـة عمل مَنْ أقصى عُمره مائـة سنـة وفضيلـة مَنْ
عُمره الأبـد وذهب إلى أنّ صالحى المؤمنين أفضل لمكابدتهم
مشقّـة الطاعـة مع منـازعـة الشهوة وممانعة الشيطان والعمل
بالغيب خوفـًا وطمعًا وانّى يقع طاعـة من أُصْفِيَ عن شوائب
الهوى وأُخلص من مزاحمة [1] الشهوة وأُمِدَّ بظلّ العصمة وحُرِسَ
من الوساوس من طاعـة مجبول على الهوى مطبوع على الشهوات
موكّـل بـه اعداء من نفسه وجنسه وشيطانـه وانّما يستحق

[1] Corr. marg. مزاج.

العمل تمام الفضيلة باحتمال الكدّ والعنآء والمشقّة فيه قالوا
وليس ينكر[1] ان الملائكة أفضل من الناس ومن كثير من
أهل الاسلام حتّى تكرمنا[2] ما تلاه خصمنا من الآيات وانّما
تفضيلنا فاضلى المؤمنين وصالحيهم وقد أسجدهم الله لصفيّه
آدم عم فهلّا كان ذلك على سَبْقه بالفضيلة وقال جلّ
وعزّ وان تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح
المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير فقدّم صالحى المؤمنين
بالذكر لفضيلتهم على كثير من الملائكة وليس فى وجوب
الايمان بهم اكثر فضيلة من وجوب الايمان بالمؤمنين قال
الله عزّ وجلّ يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ثم هم مع ذلك
خَوَلٌ لبنى آدم وحفظة عليهم وقد رُوى فى الحديث انّ
الملائكة سألوا الجنّة فقال الله سبحانه لا أجعل صالح
من خلقتُ بيدىّ كمن قلتُ له كن فكان ورُوينا عن كعب
أنّه قال ركّب الله فى الملائكة العقل بلا شهوة وفى
البهائم الشهوة بلا عقل وفى ابن آدم كليهما فمن غلب عقلُه

[1] Ms. نكر.

[2] Ms. بكرمنا.

شهوتَــه فهو خير [f° 34 v°] من الملائكة ومن غلب شهوتُــه عقلَــه فهو شرٌّ من البهـائم واحتجّ بعضُ المتأخرين بقول شاعر يمدح ابن موسى الرضا ويقال هى لأبى نواس [خفيف]

قِيلَ لى أنتَ أوْحَدُ النّاس فى كُـــلِّ مقالٍ من الكلام النَبِيـهِ

لــك من جيّد الكلام نظامٌ يُجتَنَى الدُرُّ من يَدَى مُجتَنِيـهِ

فلمــاذا تَركتَ مَدْحَ ابن موسى والخصالَ الّتى يَجمعْنَ فِـيـهِ

قُلتُ لا أهتـدى لمـدح إمـامٍ كان جبرئيـلُ خـادمًـا لأبِيـهِ

ذكر ما جآء فى الحجب اعلم انّ الحجاب لا يوجب حدًّا على الارسال لانّ الله محجوب عن خلقـه ولا يطلق القول بـأنـه محدود لأنّ الحجاب يحتمل وجوهًا من المعانى وروى وهب بن ابى سلام سأل رسول اللـه صلعم هل احتجب اللـه بشىء عن خلقـه غير السموات فـقـال نَعَمْ بينَه وبين الملائكة الذين هم حملـة العرش سبعون حجابًا من نور وسبعون حجابًا من نار وسبعون حجابًا من ظلمة حتّى عدّ خمسة عشر وفى حديث المعراج فـانتهيتُ إلى بحر من بحر اخضر فنُـودِى ان ارح محمّـدًا فى النور رجا وذكر عدّة بحار من أنوار ومن المسلمين من يستعظم

القول بالحجاب كيف وقد روى حمّاد بن سلمة عن عمران
الحرّانى عن زُرارة بن أوفى قال رسول الله صلعم
يا جبرئيل هل رأيتَ ربّك قال يا محمّد بينى وبينه سبعون
حجابًا من نور لو دَنَوْتُ من أدناها لاحترقتُ وفى حديث ابى
موسى الأشعرىّ لو انكشفت سُبُحاتُ وجهه لاحترق ما عليها
من شىء ويسير هذا كلّه ما روى عن الحسن انه قال
ليس شىء أقرب إلى الله تعالى من اسرافيل وبينه وبين ربّ
العزّة سَبْع حجب من حجاب العزّة وحجاب الجبروت والعظمة
وليست ممّا يوجب الحدّ فى الاحتجاب لانّها ليست بأجسام
حاملةٍ بين الحاجب والمحجوب ولكنّه يمتثل فى بُعد وقوع
الحواسّ وقطع الاطماع فى الإحاطة به والاختصاص بالعظمة
والسلطان دون خلقه ومثل هذا ابلغ عند العبّاد وتعظيم البارئ
وتفخيم قدره للرغبة إليه والرهبة منه اذ اكثرهم يرون ما
لا يُدركه حواسُّهم ولايتصوّر فى أوهامهم باطلاق لا شىء
ويدلّ على هذا التأويل ما روى فى الخبر العظمة إزارى
والكبرياء ركابى[1] فمن نازعنيهما ألقَيْتُه فى النار ولا أُبالى فهل

[1] Ms. en marge ردائى.

يعرض لسامع شك فى أنّ العظمة لا يتّزر بها والكبرياء لا يتردّى بها ولكنّ الوجه ما ذهبنا إليه واللّه اعلم، وصفة الحُجب موجودةٌ فى أشعارهم قال بعضهم [طويل]

لك الحمدُ والنعمآء والشكرُ ربّنا فلا شىء أعْلى مِنكَ حَدًّا وأمْجَدُ

مليكٌ على عرش السمآء مُهيمِنٌ لِعزّتـه تَعْنُوا الوجوهُ وتسجُـدُ

فـلا بَشَرٌ يسمو إليه بطَرْفـه ودُونَ حجاب النور خَلقٌ مُؤيَّـدُ

ذكر ما جاء فى سدرة المنتهى وهى مذكورة فى كتاب اللّـه عزّ وجلّ روى أنها على هيئة شجرة [٣٥ r°] يمرّ الراكب فى ظلّ فَنَنٍ منها [1] سنة قبل ان يقطعها ثمرها كالقلال وورقها كآذان الفيلة يأوى اليها أرواح الشُهدآء والصِدّيقين فى صورة فراش من ذهب بقول اللّـه عزّ وجلّ عند سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى وقد ذكرها حَسّانُ فى شِعْره

مقامٌ لدى سِدْرة المُنتهى لأحمدَ لا شَكَّ للمُرْتضى

[1] Lacune; note marginale كذا فى الأصل.

وقولـه تعالى عنـدها جنّـة المأوى يردّ قول من يزعم أنّ السدرة الشجرة التى كان النبىّ صلعم [تحتها بحراء اذ نزل عليه جبرئيل بالوحى اللهمّ الا ان يشبهه بقولـه][1] إنّ منبرى هذا [تز][2]عـة من تُرع الجنّـة وقوله عم بين قبرى ومنبرى روضةٌ من رياض الجنّـة فيكون مذهبًا وكذلـك قولـه عم الجنّـة تحت ظلال السيوف غير أنّ الاخـذ بـالظـاهر على القول الأوّل أعرف وأشهر والاخبـار بـه أكثر قـالوا وانّما سُمّيت سدرة المنتهى لأنّها منتهى علم العلمآء فـلا يعلم أحدٌ من الملائكة والأنبيآء ما وراءها إلّا اللـه وحدَهُ وسمعتُ بعض القرامطة يتأوّلها معلمهم[3] بحراء محمّد صلعم مـا علمه وأفشاه السرّ اليـه لما رأى فيـه من الامارات وتوسّمه فيه فضّ الله أفواههم وخيّب آمالهم،

ذكر الجنّـة والنـار لا أعلم أحدًا من أهل الأديان يُنكر الجزآء من الثواب والعقـاب وان اختلفوا فى صفتـه واسمـه ومكانـه ووقتـه لأنّ فى ابطال الجزآء ابطال الأمر والنهى والوعد والوعيد وإجازة اهمال الخلق وارسالهم ويؤدّى ذلـك

[1] Addition marginale.

[2] Lacune.

[3] Note marginale كذا فى الأصل.

إلى تسفيه الصانع وتجهيله أو الإلحاد والتعطيل وهذه المسئلة مُعلَّقة بأصل التوحيد وذلك انّه لمّا قامت الدلالة على اثبات البارئ جلّ وعزّ وقدرته وحكمته لم يجز أنْ يكون شيء من أفعاله غير حكمة وصواب فعلمنا أنّ الحكيم لم يخلق هذا الخلق عبثًا ولا لعبًا ولا سهوًا ولم يأمرهم ولم ينهَهم إلّا للثواب الذى عرضهم له والعقاب الذى حذّرهم وحاشى لله سبحانه وتعالى على أن نظنّ به غير الحقّ فالجزآء يوجبه مُوجب التوحيد وحجّته حجته ثم لطباق أكثر أهل الارض على الإقرار به من أعظم الحجج اذا كانت العارضة يكشفها حجّة العقل واجتماع الخلق فأىّ عذر بعدها لمتخلّف عنها أو مائل الى ضدّها وان أحسّ من نفسه بنفرة فأولى به أن يتّهم عقله دون عقل المؤمنين والأمم والأجيال فامّا القول فى أنيّة الجزآء وماهيّته أجنّة ونار [ام] غيرهما فشيء يتبع فيه الاخبار ولو شاء الله يجزئ بغيرهما كما شاء ولكن المعلوم من الثواب النعمة والاغتباط والمعلوم من العقاب المكروه والنكال ولا نعمة أعظم من دوام البقآء ولا عقوبة أبلغ من النار التى هى آكلة الأضداد

ذكر اختلاف الناس فى الجنّة والنار قرأتُ فى شرائع
الحرّانيّة أنّ البارئ عزّ وجلّ وعد من أطاع نعيمًا لا يزول
وأوعد من عصى العذاب بقدر استحقاقه وهذا ناموس أكثر
القدماء ومنهم من يزعم ان النفس الشرّيرة الّتى عاثت فى هذا العالم
وأفسدت وآذت إذا فارقت هيكلها حُبست فى الأثير وهى نار
فى أعلى عُلوِ العالم والنفس الخيّرة التى استفادت الفضائل تعود
الى عنصرها الأزلىّ ومنهم من زعم ان الفاضل يعلو فى العُلو
والراذل يتسافل فيبقى فى الظلمة والخمود وقد قال
ارسطاطاليس [f° 35 v°].ان العُلو الأعلى محلّ الخلود وانّ السفل
الاسفل محلّ الموت وعامّة أهل الهند يُقرّون بالجزاء والذين
يهلكون أنفسهم بأنواع العذاب من القتل والحرق والغرق
يزعمون أنّ جوارى الجنّة يختطفنه قبل زهوق نفسه وانّما
أثبتُّ هذا لأبيّن لك إقرارهم بالجنّة فى كفرهم وجهلهم
وأهل الكتاب مُجمعون على الإقرار به لأنّ ذكر الجنّة
والنار فى غير موضع من كتابهم إلّا أنّهم مختلفون فى صفاتها
بالجنّة فتسمّى بالعبرانيّة بردیسا وبالعبريّة كنعاذن ويزعم طائفة

[1] Ms. سفل ; la bonne leçon est donnée en marge.

من اليهود أنّه إذا كان يوم القيَمة أظهرت جهنّم من وادى [1] وأحرِثت نارًا فى الوادى ونُصِب عليه جسر وأظهرت الجنّة من ناحية بيت المَقْدِس وأمر الخلق أن يسيروا عليه فمن كان منهم برئًا جرى مثل الريح ومن كان منهم آثمًا تهافت فى النار وزعمت فرقة منهم أنّ الجنّة والنار يفنيان وذلك بعد ألف سنة من وقت أن صار الناس إليهما ثمّ يصير أهل الجنّة ملائكة وأهل النار رميًا وزعم آخرون أنّهما لا يفنيان أبدًا وأمّا المتناسخة وانّهم يرَوْن الجزآء فى النسخ والمسخ ويزعمون أنّ من استمرّ على طبع من طباع السباع والبهائم حوّل الى صورته عقوبةً له ومن تعاطى الحقّ وكفّ عن الأذى وتجمّل بالجميل حُوّل فى صورة مَلَكٍ أو قائد او رئيس وهذا مذهب كثير من القدمآء، ومن المعطّلة من لا يُنكر الجزآء فى الدنيا بالفقر والفاقة والآلام والأحزان ما ارتكبه من قبيح والسَّعَة فى الدنيا والراحة والفرح واللذّة جزآء ما عمله من جميل ويزعم السمنيّة من الهنود أنّ من كان قليل الخير

[1] Lacune remplacée dans le ms. par trois points ∴ et note marginale كذا فى الأصل.

يصير كاسف البال رثّ الهيئة يأتى لأبواب فلا يتصدّق عليه ومن كان كثير الخير يصير مالكًا عظيمًا عزيزًا فمن أطعم الطعام أصاب القوّة لأنّ البدن تقوّى بالطعام ومن كسا الثياب أصاب الجمال ومن أوقد فى الظُلَم أصاب حُسْن العيش لأنّ الصباح يَطْرُد الظلمات ،

ذكر اختلاف المسلمين فى الجنّة والنار اعلم أنّهم فيها على ثلث فِرَق فزعمت المعتزلة إلّا أبا الهُذَيل وبشر بن المعتمر أنّهما لم يخلقا بعدُ وأنّهما يخلقان يوم القيامة واجاز النجّار أن يكونا خُلقتا وأن لم يخلقا بعدُ وانهما يخلقان يوم القيامة وقال سائر المسلمين أنّهما مخلوقتان مفروغ منهما واحتجّوا بآى من القرآن وأحاديث من السُنّة فمنها قيل ادخل الجنّة قال ياليت قومى يعلمون وقوله تعالى ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله امواتًا بل احيآء عند ربّهم يرزقون وقوله تعالى وجنّة عرضها السموات والارض أعدّت للمتّقين فهل يجوز أن يُعدّ غير مخلوق وجآء فى الحديث أنّ الله خلق الجنّة كذا وكذا بصفات مضبوطة فى الكتب وقال واتّقوا النار التى أُعدّت للكافرين وقال النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا وقال ويا آدم اسكن

انت وزوجك الجنّة وقال مخالفوهم أنّ الجنّة والنار ثواب وعقاب والثواب والعقاب لا يستحقّان إلّا بعد وجود الأعمال الموجبة لهما قالوا ولو كانت الجنّة مخلوقة فأين مكانها وهى لا تسعها السموات والارض لقوله عرضها السموات والارض وتأوّلوا كلّ ما فى القرآن والسُنّة من ذكرهما على العِدَة المنتظرة وقد قال الله عزّ وجلّ ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فأخبر عنهم وليسوا فى الوقت قالوا وغير ممتنع على اللّه تعالى أن يخلق كلّ يوم جنانًا ويفنيها أو يبقيها[1] [f° 36 r°] كما يشآء وان ينعم أرواح المطيعين فى جنّة يخلقها لهم أو فى غير جنّة ويعذّب أرواح الظالمين فى نار أو فى غير نار وقالوا وقد سبقت عدته فى افنآء ما خلق وثوابه وعقابه غير فانيَيْن أبدًا فإن كانا موجودَيْن فلا بُدّ من فنائهما وذلك خلاف وعده فلا مبدّل لكلماته قال خصمآؤهم ليست الجنّة والنار ثوابًا ولا عقابًا انّما هما مقرّ الثواب والعقاب فيهما يُثاب ويُعاقَب والاستثنآء قد تناولهما من الفنآء والهلاك لقوله إلّا ما شآء ربّك ولحكمه عليها بالسرمديّة

[1] Ms. يفنيها.

والأبديّـة وكما أنّـه وعد ان يُفنى الخلق فكذلـك وعد أن
لا يفنيهما ثم اختلف هولآء فى مكان الجنّة فقال بعضهم هى فى
الآخرة والآخرة مخلوقة وقـال بعضهم بل هى فى عالم لها ولله
عوالم الخلق ما يشآء وقـال بعضهم بـل هى فى السمآء السابعة
سقفها عرش الرحمن وروى خبرًا وزعم بعضهم أنّها مخلـوقـة
ولا يُـدْرَى أين هى وليس بعجب أن يمسكها الله فى مكان كما
أمسك العالم لا فى مكان قـالوا والنار تحت الأرض السابعة
السُفْلَى وروى فيه خبرًا

ذكر صفة الجنّـة والنار أجمع مـا فى القـرآن لوصفها قولـه
تعالى وفيهـا مـا تشتهيه الانفس وتـلـذّ الأعين وانتم فيهـا
خالـدون وأجمع خبر فيها خبر ابى هُرَيْرة رضى اللّـه عنه عن
النبى صلعم فيما يحكى عن ربّـه عزّ وجلّ أعددتُ لعبـادى
الصالحين مـا لا عينٌ رأتْ ولا أُذن سمعت ولا خطر عـلى
قلب بشر وبَلْـهَ مـا اطلعتم عليـه قـال ابو هريـرة رضى
اللـه عنه ومصداق هذا فى كتـاب اللـه عزّ وجلّ فـلا
تعلم نفس مـا أُخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون
ورواه حمـزة بن حبيب عن المنهـال بن عمـرو عن محمّـد بن

الحنفيّة[1] أنّ النبيّ صلعم قال حدّثوا عن الجنّة بما شئتم فلن تحدّثوا عنها بشيء إلّا وهى أشدّ منه فمن هاهنا استجاز من استجاز صفة الجنّة والنار بما لم يأتِ فى الرواية لأنّ الواصف وإن أفرط فى الوصف لم يَعْدُ مَدَى خاطر همّته وغاية معرفته لا يبلغ كُنه ما فيها ولا بعضَه لأن نعم الله ونقمه فوق ما يُحصيه المُحصون إذ لا غاية لها ولا نهاية أبدًا وقد سُئل رسول الله صلعم عن أهل الجنّة فقال جُرْدٌ مُرْدٌ مكحلون من أبناء ثلث وثلثين سنة هذا من طريق حمّاد بن سلمة عن علىّ بن مريد عن المسيّب عن ابى هُريرة وفى رواية أُخرى من ابناء ثلث وثلثين سنة على سنّ عيسى وصورة يوسف وقلب ابرهيم وطول آدم وصوت داود ولسان محمّد صلّى الله عليه وعليهم اجمعين وقال ابو هريرة إنّ أهل الجنّة ليزدادون جمالًا وحُسنًا كما يزدادون فى الدنيا قباحة وهرمًا وأنكر قوم من أهل الكتاب الأكل والوطئ فى الجنّة وذلك أنّ منهم من لا يرى البعث إلّا للأرواح فكذّبهم الله فى القرآن بذكر الطعام الحُوّارَى التى وصفها فى الجنّة وروى[2] عن النبىّ صلعم

[1] Ms. الحنفيّه.   [2] Ms. ورو.

لما يذكر الجنّة قال إنّ الرجل منهم يُعطَى قوّة ألف رجُل فى الطعام والجماع قالوا وكيف المسّ يا رسول الله قال دحمًا دحمًا إذا قام عنها رجعت مطهّرة بكرًا بذكر لا يملّ وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع فقال يهود مَنْ أكل يتوط فقال النبىّ صلعم [f° 36 v°] ولا يتغوّطون وانّما هو عرق يفيض من أعراضهم مثل المسك فتُضْمَر له بطونُهم وسُئل عن النوم فقال صلعم النوم أخو الموت وأهل الجنّة لا يموتون وسُئل عن الولد قال فتنة ورُوى انه قال لو أرادوا لكان حمله ووضعه ونشوه فى ساعة واحدة وسئل عن المرأة التى يكون[1] لها زوجان لمن تكون فى الجنّة ففى رواية حذيفة أنه قال تكون لآخر زوجَيْها ولمّا خطب معاوية أمّ الدرداء قالت لستُ أبغى بأبى الدرداء بديلًا سمعتُه يقول قال رسول الله صلعم المرأة لآخر زوجَيْها ولذلك حُرّم أزواج النبىّ صلّى الله عليه من بعده ليكُنّ أزواجه فى الجنّة ورُوى عن الحسن انه قال تخيّر المرأة فتختار أحسنهما خلقًا وسُئل ضمرة بن حبيب أيدخل الجنّة فقال نعم واستدلّ بقوله تعالى لم يطمثهنّ انس

[1] Ms. تكون.

قبلهم ولاجانّ فللانس انسيّات وللجنّ جنّيّات وسئل ابو العالية
عن أوقات الجنّة قال كمثل ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس
لاشمس فيها ولا قمر ولا ليل ولا نهار وهم فى نور أبدًا وانّما يعرفون
مقادير الليل والنهار بارخاء الحُجب وفتح الابواب وسُئل الحسن
عن الحور العين فقال عجائزكم هولاء العُمْش الرُمْص وتلا
انّا انشاناهن انشاء فجعلناهنّ ابكارًا الآية فقال ويعطون
أزواجًا غيرهنّ من الحور العين وفى حديث ابن المبارك عن
رشيد بن سعد عن ابن أنعم انّ مَنْ دخل من نسآء أهل الدنيا
الجنّة فضّلْنَ على الحور العين بما عملنَ فى دار الدنيا وهذه
الأخبار أتينا بها لشهرتها عند عوامّ الأمّة واستغنآنها عن الأسانيد
وسُئل عن قوله عزّ وجلّ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ
الاعين فلو اشتهت ما يستقبحه العقول كالقتل والغصب[1]
والظلم ونكاح الاخوات والبنات فأجابهم المسلمون بأنّ هذا
وما أشبهه ممّا لا يشتهون فى الجنّة لأنّها ليس فيها كما
لا يشتهون الموت والمرض والذلّ والفاقة لأنّها ليست فيها
فتحبس طباعهم عن التشوّق إلى ما يستقبح فى العقول وينسون

[1] Ms. العضب.

ذكرها واعلم هداك اللـه أنّ كلّ ما وصف بـه من ذهبها وفضّتها وجواهرها وطيبها وطعامها وسائر مـا وصف منها كأنّها على الحقيقة فى الاسمآء الكثيفة كما خلقت جواهر الأرض وثمارها بقول اللـه عزّ وجلّ وانّ الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ورُوى عن ابن عبّاس رضى الله عنه عن أُسامة بن زيـد عن النبىّ صلعم أنّـه سُئـل عن الجنّة فـقـال نور يتلألأ وحدّثنا الحسن بن هشام العبسىّ عن وكيع عن الأعمش عن ابن عبّاس رضى الله عنه قـال ليس فى الجنّة شئ ممّا فى الـدنيا إلّا الاسمآء ،

ذكر صفـة النـار وأهلها أجمعُ آيـة فى وصف النـار قولـه والـذين كفروا لهم نار جهنّم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وأجمع خبر فيها خبر محمد بن الحنفية وإن كان مُرْسَلًا حدثوا عن النار بما شئتم فلن تحدّثوا عنها بشىء إلّا وهى اشدّ منه والذى يوجب القياس الشديد أن يكون كلّ ما وصف بـه النار من أغلالها وانكالها وحيّاتها وعقاربها وأوديتها ومقامعها وسائر ما ذُكر فى القرآن والأخبار خلاف ما هو فى الـدنيا كما قلنا فى صفـة الجنّة وان يكون الجمع بينهما من جهة الاسم

لا من جهة المعنى لأنّ النـار دار خلود كما أنّ الجنّـة دار خلود [fº 37 rº] وسئـل ابرهيم النَخعىّ عن صفة نار جهنّم فقـال ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزء من نار جهنّم ولقـد ضرب بها البحر مرّتين ولولا ذلـك لما انتفعتم بهـا وسُئـل الحسن عن النار فـقـال يصير البحر نارًا ثم تـلا واذا البحار سُجِّرت فقـال يفجر بعضها من بعض ثم يرسل عليهـا من الجنوب ريحًا ويُسلّط عليها الشمس حتّى يسجرها فتصير[1] نارًا فجعلها اللـه محبسًا لأهل المعاصى وزعم قوم أنّ النـار مخلـوقـة اليـوم وأنّها تحت تخوم الارضين السُفْـلَى والبحار هى الحاجزة عن الخلـق وأن حرارة الشمس وحمى الصيف مؤخّرها[2] ورووا أنّ النار اشتكت فقـالت أكل بعضى بعضًا فـأذن لهـا فى نفسين نفس فى الصيـف ونفس فى الشتآء وأراك أشدّ مـا يكـون فى الحرّ والبرد وفى الصحـاح من الحديث ابردوا بالظُهر فـإنّ فى شدّة الحرّ من فيح جهنّم واستعظم قوم بقـآء ذى روح فى النـار وذلـك لقصور علمهم لأنّ النـار ضروب كالأثير الـذى يزعمون فى علو الهوآء

[1] Ms. فيصير.

[2] Ms. موخرها.

وكالنار الكامنة فى الحجر والشجر وقد سُئل ابن عبّاس رضى
الله عنه فيما رووا فقال النيران أربع نار تأكل وتشرب
وهى ناركم هذه ونار لا تأكل ولا تشرب وهى النار فى
الحجر ونار تشرب ولا تأكل وهى نار الشجر ونار تأكل
ولا تشرب وهى نار جهنّم تاكل لحومهم ولا تشرب دمآءهم
فلذلك يبقى أرواحهم فأخبر أنّ نار جهنم خلاف النيران
التى ذكرها بقول الله تعالى كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم
جلودًا غيرها فأخبر سبحانه أنّه يُبدّل لهم الجلود لتبقى لهم
الأرواح لا تأتى عليهم النار فيُفنيهم وقد أرانا الله من قدرته
فيما ركّب عليه طباع بعض الحيوانات ما دلّنا به على جواز بقآء
ذى روح بالنار كالنعام التى تأكل النار ولا يضرّها والطائر
الذى يدخل النار فلا تُحرقه وما أراه جعل ذلك إلّا عبرةً
فدلّنا على جواز بقآء الحياة فى أهل النار وإلّا فما جاز فى طباع
الحيوان الاغتذآء بالنار والحديدة المُحماة وجآء فى صفة أهل
النار بالعجيب الفظيع فمن ذلك ما روى أنّه سُئل أبو
هريرة رضى الله عنه عن قوله تعالى ومن يَغْلُلْ يأتِ بما غلّ
يوم القيامة وكيف يأتى من غلّ مائة بعير ومائتى شاة فقال

أرأيت من كان ضرسه مثل الأُحُد وفخذه مثل ورقـان وساقـه مثل البيضآء ومجاسه ما بين المدينة الى الربذة وعن الربيع بن أنس قـال مكتوب فى الكتاب الأوّل أنّ جلد أحدهم أربعون ذراعًا وبطنه لو وُضع فيـه جبـل لوسعه وانّـه ليبكى حتى يصير فى وجهه أخاديد من الدمع لو طُرِح فيها السُفُن لجرَتْ كذا الروايـة والله أعلم ، وأعلم أنّ كلّ ما يُوصَف من الجنّة والنار فسبيلـه السمع والخبر وما موجب العقـل فـالأصل الـذى هو الجزآء فـلا تشتغل بجواب السائل عن الصفات إذا كان مُنكرًا لـلأصل حتّى يُقرّ بـه ،

ذكر اختلاف الناس فى بقآء الجنّة والنار وفنائهما قرأتُ فى شرائع الحرّانيّين أنّ للعالم علّـة لم يزل وأنّـه واحد لم يتكثّر ولا يلحقه وصف شىء من المعلومات كلّف أهل التمييز الإقرار بربوبيّتـه وبعث الرسل للدلالـة وتثبيت الحجّـة فوعدوا من أطاع نعيمًا لا يزول وأوعدوا من عصى عذابًا بقدر استحقاقـه ثم ينقطع وقـال بعض أوايله أنّـه يعذّب سبعة [37 v° ;f°] آلاف دَوْرٍ ثم ينقطع العذاب ويصير الى رحمـة اللـه تعالى والهنـد على كثرة اختلافها يجمعها نحلتان السمنيّـة المعطلة والبراهمة الموحّدة

وكلّهم مُقرّون بالجزآء وأنّ العذاب سينقطع يومًا والسمنيّة تقول
ان الثواب والعقاب موجودان فى هذا العالم بالحواسّ جزآء ما
اكتسبته النفوس باقيةٌ خالدة فاعلة وفعلها الإيجاد بالأجساد
وانّها لا يزال ساكنة الأبدان فاذا فارقت جسدًا لم تَعُدْ
فيه أبدًا وانّها تتناسخ على فعالها لا يأتى أمرًا إلّا على قدر هواها
وهمّتها فإذا اجترحت السيّئات أثّرت تلك الأفعال فى
جوهرها وصار غرضًا لازمًا لها فإذا فارقت الجسد ذهبت
بذلك التأثير إلى الجنس الذى لا يلايم همّتها فتلابسه فيصير
ذلك السبب إلى المكروه وهو التناسخ فى أجساد الحيوان
كلّه من الهوام والانعام والآنام والطير فى البرّ والبحر قالوا
وأشدّ ذلك كلّه إذا حُوِّلَتْ فى جسد حيوان تحت الأرض
حيث لا مآء ولا معمورة ويطول عذابها بالجوع والعطش والحرّ
والبرد ثمّ تُجوء[1] الى جهنّم وعذابها وذلك نهاية العذاب وأُخراه
ثمّ يعود من جهنّم القهقرى إلى وجه الأرض للعمل قالوا وانّى
عملت الصالحات والأفعال الفاضلة بالضدّ ممّا وصفنا فيلابس
الجمال والكمال والصحّة والأمن والقوّة والإنس والنشاط

[1] Ms. تحوّ.

والمُلك والعزّ وطيب النَفْس ويصير آخِر ذلك كلّه الى
الجنّة فيمكث فيها بقدر استحقاقها ثمّ يرجع الى الدنيا للعمل
قالوا والجنّة اثنتان وثلثون مرتبة ويمكث أهلها فى أدنى مرتبة
منها أربع مائة ألف سنة وثلث وثلاثين ألف سنة وستّمائة
وعشرين سنة وكلّ مرتبة أضعاف ما دونها بحساب يطول عدده
قالوا والنار اثنتان وثلاثون مرتبة ثم وصفوها بتجانب الصفات
من الحريق والزمهرير وزعموا أنّ من قتل شيئا من الحيوان
دون الناس قُتل به مائة مرّة ومرّة ومن قتل إنسانا قُتل به
ألف مرّة ومرّة قالوا وليس عُضْوٌ من الأعضاء قبح او سمج
خلقتُه إلّا وقد أتى صاحبه بذلك العُضو داهية من الدواهى
هذا أصل التناسخ ومنهم انتشر فى سائر الأُمم وليس من
أمّة من الأُمم إلّا وهى مُقرّة بالجزاء كما ذكرنا إمّا التناسخ
وإمّا الذخر فى الآخرة وأجمعوا أنّ العذاب بقدر الاستحقاق ثم
ينقطع وزعم كثير من اليهود أنّه إذا أتى على الجنّة والنار ألف
سنة بعد ما صار اليهما أهلهما فنيتا وتعطّلتا وصار أهل الجنّة
ملائكة وأهل النار رميمًا واحتجّوا بقول الانبياء الاثنىعشر[1]

[1] Ms. ثنى عر

أنّه مكتوب فى سِفر يهوشوع[4] أن اللّه يقول إنْ تمسكت أمرى وأتممت ميثاق أعطيتك موضعًا وَسْطَ هولآء الواقفين قدّامى وقال فى أهل النار يصيرون رميًا تحت أرجُل معاشر أهل الجنّة وسمعتُ رجلًا من يهود عليهم اللعنة يزعمون أنّ منهم من يقول أنّ العالم ينقضى فى كلّ ستّة ألف سنة ويجدّد وأنّ يوم السبت يوم الحساب ومقداره ألف سنة ويوم الأحد يوم الابتدآء واللّه اعلم بما قال وكثير منهم يقول بقآء الجنّة والنار على الأبد ويحتجّون بقول شعيا فى سِفره أنّ أهل الجنّة يخرجون ويرون أجساد الذين عصونى لا يموت أرواحهم ولا تخمد نارهم والمجوس يزعم أنّ المُسئ يجازى بقدر استحقاقه بعد موته [f° 38 r°] بثلاثة أيّام كفاء ما فعل سوآء لا زيادة ولانقصان ومنهم من يزعم أن الجنّة والنار فى الدنيا بأرض الهند مع هوس كبير وتخليط ظاهر،

ذكر اختلاف الناس فى هذا الفصل زعمت طائفة منهم أنّه لا بدّ من فنآء النار وانقضآئها يومًا ما رَوَوْا فيه روايات فرووا عن ابن مسعود رضى اللّه عنه انه قال يأتى على جهنّم

[4] Ms. يهوشوع.

زمان تخفق[1] أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما لبثوا أحقابًا
وعن الشعبىّ جهنّم أسرع الدارين خرابًا وعن عمر رضى اللّه
عنه وأرضاه لو لبث أهل النار فى عدد رمل عالج لكان لهم
يرجون واحتجّوا باشيآء من باب التعديل ولم يختلفوا فى بقآء
الجنّة على الأبد وقالوا آخرون أنّهما مؤبّدتان دائمتان لا تفنيان
ولا تزولان واحتجّوا بانه لم يكن لنعم اللّه انتهآء وجب ان
لا يكون لنقمه انقضآء ورووا عن الأوزاعى انه ذكر هذه
الروايات التى احتجّ بها الأوّلون وقال قد كان الناس يرجون
لأهل النار الخروج عند قوله خالدين فيها ما دامت السموات
والارض إلّا ما شاء ربّك وقوله لابثين فيها أحقابًا فلما نزلت
فى المائدة وهى آخر ما نزل فى القرآن يريدون ان يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم علموا انها
لا تفنى ابدًا فإن قيل كيف يجوز على الحكم العدل ان
يعاقب على جُرم منقضٍ بعقوبة غير منقضية قيل هو الجزآء
على السوآء وكما انه لم تقصّر مدّة عمره على الكفر فى دار
الدنيا وجب ان لا يقصر عنه العذاب مدّة عمره فى الآخرة

[1] Ms. محقق.

وأيضًا فإنّ نعمة ما لم تكن منهية وجب ان لا يكون نقمة منتهية وقد كانت العرب فى جاهليتها تؤمن بالجزآء ومن نظر منهم فى الكتب كان مُقرًّا بالجنّة والنار فمنه قول أميّة [وافر]

جهنّم تلك لا تبقى بقيًّا وعدنٌ لا يطالعها رجيم[1]
إذا جهنّم ثم فارتْ وأعرضَ عن قوابسها الجحيم
يحب بصندلٍ صمّ صلابٍ كأنّ الصاحيات لها قضيم[2]
فتسموا ما يعنيها ضواء ولا يحبو فيبردها السموم
فهم يطفون كالاقذاء فيها لئن[3] لم يغفر الربّ الرحيم
بدانيةٍ من الآفات نزهٍ بـرآء لا يرى فيه سقيم
سواعدُها تحلّب لا تصرّى بها الايدى محلّلة تحوم
يفيض حلابها من غير ضَرْعٍ ولا بَشْم ولا فيها جُزومُ
فيحرم عنهُمُ ولكنّ عرقٍ عجيجٌ[4] لا احدّ ولا يتيم[5]
فذا عسل وذا لبنٌ وخمرٌ وقمح فى منابته صريم
ونخل ساقط الأكتاف عد خلال أصوله رُطَب قيم
وتفّاحٌ ورمّانٌ وموز ومآء بارد عذب سليم

[1] Ms. رحيم.
[2] Ms. فضيم.
[3] Ms. لين.
[4] Ms. عجبح.
[5] Ms. يسيم.

وفيهـا لحم شاهـدة ونحرٌ[1] وما ـهوا لهم فيها مقيم

وحورٌ لا يرين الشمس فيها على صُوَر الدُمى فيها سُهوم

نواعم فى الأرائك قاصرات فهُنّ عقائل وَهُمُ قروم

على سُرُرٍ ترى متقابلات الاَشـمَ النضارةُ والنعيم

عليهم سندس وجناب رَيْط وديباج يرى فيها فيوم

وحُلُّوا مِن أساورَ من لُجَيْن ومِن ذهب وعسجدة كريم

ولا لغوٌ ولا تـأثيم فيهـا ولا غول ولا فيهـا مُليم

وكأس لا يصدّع شاربيها يلـذّ بحسن رويتها النديم

يصفّوا[2] فى صحاف من لجين ومن ذهب مبارَكـةٍ رذوم

إذا بلغوا الّتى اجرَوْا اليها تقبّلهم وحلـل من يصوم

وخفقت البدور وأردفتهم فضول الله وانتهت القُسُوم

[f° 38 v°] اعلم أنّ هذه الاشيآء ممّا جآءت بـه الروايـة والخبر فمنها ما هو ثواب ومنها ما هو عقاب ومنها ما هو تمييز وتفريق والمسلمون لا يختلفـون فى أساميهـا وإنّما الخلاف فى معانيهـا فـامّا الصراط فقد جآء فى الحديث أنـه يُنصَب جسرٌ على ظهر

[1] Ms. نحر.

[2] Ms. يصفو.

جهنّم ويُحمل الخلـق عليه فمن كان من أهل الجنّة جازه ومن
كان من أهل النار تهافت فيها وقيـل فى صفته انّـه أحدّ من
السيف وأدقّ من الشعرة دَحْص[1] مـزلّـةٌ وفيـه كلاليب
وخطاطيف وسَعْدان مضرّسة وحَسَك مُفلطحة مُسيَّرة كذا سنة
صعودًا وهكذا هبوطًا وكذا وطأً والناس يجوزونه بقدر أعمالهم فمنهم
من يمرّ كالبرق الخاطف ومنهم من يمرّ كالريح العاصف ومنهم من
يمرّ كالطير الهادى ومنهم من يمرّ كالجواد المضمّر ومنهم من يمرّ عدوًا
ومنهم من يمرّ هرولـةً ومنهم من يمشى مشيًا ومنهم من يزحف
زحفًا ومنهم من يحبـو حَبْوًا ومنهم من يُحتضنه بكشحه وصدره
والزالّون والزالّات[2] كثير وقـد أُجيب من يزعم أىّ ظلم أعظم
من حمل النـاس على مـا هذه صورتـه أنّـه جعل تمييزًا بين
أهل الطاعة وأهل المعصية وعلامة للحقّ على هلاك من هلـك
ونجاة من نجا وقـد جآء فى بعض الأخبار أنّ أهل الطاعـة
يجوزونـه ولا يشعرون بـه وقيل ينزوى تحت اقدامهم كما
ينزوى الجلدة من النار فـاذا استقرّوا فى الجنّة قـالوا مـا بالنا
لم نجز الصراط ولم نرد النار التى وعدنا فيُقال انكم جُزتم الصراط

[1] Ms. دحض.	[2] Ms. الزالون والزالات.

فى الدنيا بأعمالكم ووردتم النار وهى خامدة ومن هاهنا ذهب من
ذهب الى تأويل الصراط وما الزم الانسان وكلّف من مشقّة الطاعة
ومجاهدة النَفس فيما ينزع اليه وعلى هذا فسّر بعضهم فلا اقتحم
العقبة وما أدراك ما العقبة فكّ رقبة الآية وامّا المعتزلة
وأهل النظر فإنّهم يذهبون إلى أنّ الصراط هو الدين الذى
أمر الله بلزومه والتمسّك به وكان ابو الهُذيل من بينهم يجيز
ما جآء فى الخبر كما جآء ويحتجّ بما ذكرناه بدءًا وامّا
الميزان فروى كثير من المسلمين انه خلق على هيئة الميزان التى
يتعاطاه الناس بينهم فى معاملاتهم ومبايعاتهم يوزن به أعمال
العباد والأعمال عندهم مخلوقة وفى كتاب وَهْبٍ عن ابن
عبّاس ان له كفّتين وعمودًا كلّ كفّة طباق الأرض احداهما
من ظلمة والأخرى من نور وعموده ما بين المشرق والمغرب
وهو مُعلّق بالعرش وله لسان وصيح ينادى الأسعد فلان
والأشقى فلان فإن صحّت الرواية فالمعنى فيه ما ذكرناه فى
الصراط انه جعل مميّزًا فارقًا وهو قول ابى الهُذيل يجوز
ان يُنصب[1] ميزان يجعل رُجحانه علامة لمن نجا وخفّته

[1] Ms. ينضب.

علامة لمن هلك وقالت المعتزلة غيره وكثير من الأمّة انّ الميزان مثلٌ لتسوية الجزآء وتحقيق العدل وهو قول مجاهد والضحّاك الشعبيّ واحتجّوا بقول الناس للرجل الأمين العدل ما هو إلّا كالميزان المستقيم ألاترى الى ما يرثى به عمر بن عبد العزيز رحمه الله [بسيط]

قد غيّب[1] الدافنون الترب اذ دفنوا بديـر سمعان قسطاس الموازين

وانشد الفرّآء بيتاً [كامل]

قد كنتُ قبل لقائكم ذا مرّة عندى لكلّ مخاصمٍ ميزان

[f° 39 r°] ويسمّى الحجّة ميزاناً والله اعلم واحكم وختلفوا فى الموزون فقال قوم يُوزَن عين الأعمال فتخفّ السيّئة لانّه يأتيها الإنسان بخفّة ونشاط وتثقل الحسنة لأنّه يأتيها بعنآء وكلفة وقالت طائفة بل يوزن صُحف الأعمال وهو قول ابن عبّاس رضى الله عنه ويعضد رواية عبد الله بن عمر عن النبيّ صلعم يُؤتى برجل يوم القيامة ويُؤتى بتسعة وتسعين سجلًّا

[1] Ms. عيب, corrigé d'après le vers de Férazdaq cité par Mas'oûdi, *Prairies d'Or*, t. V, p. 445.

كلّ سجلّ مَدُّ البصر فيها ذنوبه وخطاياه فيوضع فى كفّة ثم يخرج له قرطاس مثل واشد بطرف سبابته على بعض إبهامه فيه شهادة ان لا إله إلّا الله فيوضع فى الكفّة الأُخرى فيرجح به وقال قوم يوزن ثواب الأعمال وذلك ان الله يظهره فى صورة ويُحدث عند الوزن ثقلًا فى الطاعة وخفّة فى المعصية وكلّ ما حكى وروى ممكن والله أعلم بالحقّ وأحكم وأمّا الأعراف فذكر انّه كسور بين الجنّة والنار يوقَف عليها قوم إلى أن يقضى الله تعالى بين خلقه مع اختلاف كثير فى من يقام عليه ويدلّ على انّه من الجنّة قوله عزّ وعلا ونادى أصحاب النار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من المآء أو ممّا رزقكم الله[1] وفيه يقول أميّة بن ابى الصلت [بسيط]

وآخرون على الاعراف قد طمعوا   بجنّة حَفَّها الرمّان والخَضَرُ
منهم رجالٌ على الرحمن رزقهم   مكفّر عنهُمُ[2] الاخباث والوَزَرُ

وأمّا الصُور فانّ الرُواة مختلفة فيه فروى انّه كهيئة القرن

[1] Ms. ربكم.   [2] Ms. عنه.

يُجمع فيه الأرواح ثمّ يُنفَخ منه فى الأجساد عند البعث وقـال قوم يخلق الصور يوم القيامة·وتـأوّلوا قولـه وهو الذى خلق السموات والأرض بالحقّ ويوم يقول كن فيكون قـال يقول للسموات كونى صورًا يُنفخ فيه·وقـال بعضهم الصور جمع الصورة وإنْ صحّ الخبر كيف انعم وصاحب الصور قـد التقمه وحنـا جبهتـه ينظر متى يؤمر فينفخ لزم التسليم والقول بـه وأمّـا الحوض جـآء فى الحديث بروايات مختلفـة وقـال كثير من أهل التفسير أن الكوثر اسم حوض النبىّ صلعم وروى ما بين جَنْبَى حوضى كما بين صنعآء وايلة وآنيته[1] فى عدد نجوم السماء مـآءه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأشدّ بياضًا من اللبن مَن شرب منه شربـة لا يظمأ بعدها أبدًا وقـال قوم فى تأويل الحوض انـه عمله ودينه وطريقته والله أعلم·

[1] Ms. واسته·

تمّ الجزء الأوّل

فهرس الجزء الاول من كتاب البدء والتاريخ

الفصل الاول في تثبيت .. ـر وتهذيب الجدل

العنوان — الصحيفة

الفصل الثانى فى اثبات البارىء وتوحيده بالدلائل القطعية

العنوان	الصحيفة

العنوان	الصحيفة

الفصل الثالث في صفاته وأسمائه

الفصل الرابع في تثبيت الرسالة و ايجاب النبوة

العنوان	الصحيفة

الفصل الخامس في ذكر ابتداء الخلق

الفصل السادس ذكر اللوح والقلم والكرسي والملائكة والصور والصراط والميزان والحوض وسائر مايعد من امور الاخرة